الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر-سعيدة
كلّيـة الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة والأدب العربي
تخصّص : لسانيات عامّة

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي الموسومة بـ:

اللّسانيات و علاقتها بالدّراسات اللّهاجية

إعداد الطّالبة:
شارف سهيلة

إشراف الأســـــتاذ:
الدكتور عجال لعرج

لجنة المناقشة

الدّكتور:	زحاف جيلالي	جامعة سعيدة	رئيساً
الدّكتور:	عجال لعــرج	جامعة سعيدة	مشرفاً ومقرّرا
الدّكتور:	مجاهد شامي	جامعة سعيدة	ممتحناً

السّنة الجامعية

2019-2020م/ 1440-1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد:

إلى الوالدين الكريمين.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى أهلي وعشيرتي.

إلى من قاسمتني هذا البحث.

إلى أساتذتي.

إلى زملائي وزميلاتي.

إلى الشموع التي تحترق لتنير عقل الآخرين.

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع.

شارف سهيلة

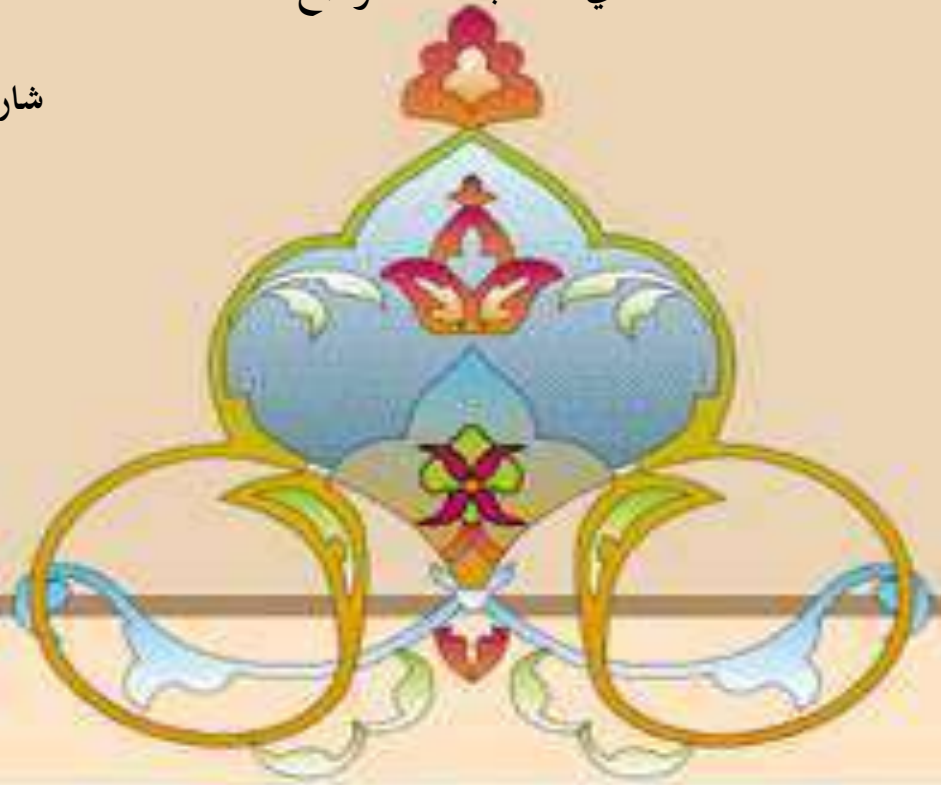

شكر وتقدير

"كن عالما .. فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ،فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث، نحمد الله عز وجل على نعمه التي منّ بها علينا فهو العلي القدير، كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير للدكتور والأستاذ المشرف "عجال لعرج" لما قدمه لنا من جهد ونصح طيلة هذا البحث.

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ والأخ "شارف محمد" لما قدمه لنا من نصح ومعرفة طيلة انجاز هذا البحث.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر أستاذتنا الكرام الذين أشرفوا على تكوين هذه الدفعة

كما لا ننسى أن نتقدم بأرقى وأثمن عبارات الشكر العرفان إلى القائمين على قسم اللغة العربية.

إلى الذين كانوا عونا لنا في مشوارنا الجامعي أساتذتنا الكرام، فلهم منا كل الشكر والتقدير.

لا شكّ في أنّ اللّغة جزء من الهويّة في أيّ أمّة من الأمم، وهذا ما دفع العلماء للبحث في الأصول المشتركة للّغات، وتقسيمها إلى عائلات كالهندوأوروبّيّة، والسّاميّة الحاميّة وغيرها، كما اهتمّوا بدراسة اللّهجات، والبحث في مواطن الاتّفاق والاختلاف بينها، ودرجة قربها من اللفصحى، ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في جهود اللّغويّين العرب، الذين لم يدّخروا جهداً في تدوين ما جادت به قرائح الشّعراء والخطباء، بل وعامّة النّاس، عبر مختلف القبائل العربيّة القديمة، في شمال الجزيرة العربيّة ووسطها وجنوبها، وتركوا لنا ثروة لغويّة هائلة أودعوها بطون الكتب والرّسائل.

وقد اعتمد جامعوا اللّغة على قواعد معيّنة في إبراز درجة اللّهجة، ومدى قابليّتها للاحتجاج، منها ما ارتبط بالمكان كبعدها عن الحواضر، ومنها ما ركّز على الزّمان أو ما عرف بعصور الاحتجاج، وقد كان هذا العمل مشتركاً بين النّحاة وغيرهم من جامعي اللّغة وغريبها، وبذلك اختلفت القبائل في نظرهم من حيث صلاحية لهجات بعضها، وإبعاد لهجات البعض الآخر، أو ما أطلق عليه بالشّاذّ، رغم أنّ الجميع كان يتكلّم العربيّة، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، لما عرفوا به من البداهة والفصاحة، فلم يكونوا بحاجةٍ إلى أيّ نوعٍ من التّقعيد، وقد استمرّ ذلك فترة من الزّمن، إلى أن حدثت أمورٌ جعلت من الضّروريّ وضع بعض القواعد والأسس، التي تقوّم اللّسان العربيّ من اللّحن، الذي بدأ ينتشر في أوساط العامّة.

من هنا جاءت هذه الدّراسة للبحث في جهود العلماء في الدّرسين اللّسانيّ واللّهجيّ، متوخّين الإجابة عن **الإشكالية** الآتية:

ما مدى مساهمة اللّسانيات في الدّراسات اللّهجيّة الحديثة؟

التّساؤلات الفرعيّة:

هل هناك فروق جوهريّة بين مفهومي كلّ من اللّغة واللّهجة؟

كيف ساهمت اللّسانيات الجغرافيّة في تطوير البحث اللّهجيّ في مختلف بقاع العالم؟

ما الفوائد المرجوّة من صناعة الأطالس اللّغويّة.

الفرضيّات:

للإجابة على ذلك نقترح الفرضيّات التّالية:

- اهتمّ اللّغويّون العرب والغرب على السّواء بالدّرس اللّغوي منذ القدم، وتركوا لنا مؤلّفات حفظت تلك اللّغات واللّهجات من الضّياع.
- كان العرب يطلقون لفظ "اللّغة" وهم يريدون به "اللّهجة"، كما كانوا يطلقون لفظ "اللّسان" وهم يريدون بذلك أحد المعنيين السّابقين.

أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي أدّت بنا إلى اختيار هذا الموضوع نذكر:

- رغبتنا في اكتشاف بعض الفروق بين اللّهجات العربيّة القديمة، والجهود التي قام بها أسلافنا في مجال الدّرس اللّغويّ
- حيويّة الموضوع، وتوفّر المادّة العلميّة.
- إبراز الأهمّيّة والدّور الذي يلعبه علم اللّغة الجغرافيّ في استخراج مواطن الاتّفاق والاختلاف بين اللّغات، أو بين اللّهجات

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

- التّعرّف على ماهية كلّ من اللّغة واللّهجة واللّسان لدى العرب والغرب، قديماً وحديثاً، بغية استخراج الفروق بين المصطلحات الثّلاث.

- التّعرف على أهـمّ الأسباب التي أدّت إلى ظهور اللّهجات واختلافها بين القبائل العربيّة القديمة، مع ذكر اللّهجات البائدة واللّهجات الباقية.
- التّعرّف على ماهية علم اللّغة الجغرافيّ، ووظيفته في الدّرس اللّهجيّ، مع إلقاء الضّوء على طريقة عمل الأطلس اللّغويّ.

أهمّيّة البحث: تظهر أهمية البحث في كونه يحاول إبراز دور وأهمية علم اللّغة الجغرافي، أو اللّسانيات الجغرافيّة، من خلال البحث في اللّهجات، ومواطن توزيعها، والفروق بينها، وكذا هيمنة بعضها على البعض الآخر ضمن حدود جغرافيّة محدّدة.

الدّراسات السّابقة:

لكلّ بحث أكاديميّ دراسات سابقة يستمدّ منها الباحث بعض النّقاط التي يحتاجها، فضلاً عن الكتب والمؤلّفات المطبوعة، التي تنير سبيله، لتحقيق ما يصبو إليه، ومن بين الدّراسات السّابقة في حقل اللّسانيات الجغرافيّة نذكر:

1 – حاج علي فاطمة الزّهراء: بين اللّغة العربيّة ولهجات غرب تلمسان، لهجة بن واسين أنموذجاً، مذكّرة ماستر تخصّص: دراسات مقارنة في الأدب والحضارة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

2 – بن عبد الرّحمن امباركة: الأحكام الإعرابيّة واللّهجات العربيّة المعاصرة – لهجة منطقة الجلفة أنموذجا – مذكرة ماستر في اللّغة والأدب، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2014-2015.

3 – مباركة بالغيث: علاقة اللّغة العامّيّة باللّغة الفصحى – دراسة تأصيليّة لمفردات المعجم الشّعريّ السّوفيّ – مذكّرة ماستر، علوم اللّسان، جامعة الشّهيد حمّة لخضر الوادي، 2014-2015.

4 – بن حليليم نور الدّين: أثر التّغيّر الدّلاليّ في غموض الألفاظ العامّيّة عند البدو والحضر – تلمسان أنموذجاً – أطروحة دكتوراه في علم اللّهجات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015.

5 – مرداسي الجودي: اللّسانيات الجغرافيّة وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنيّة، مجلّة الأثر، ع: 22، جوان 2015.

6 – بلجيلالي خيرة: علم اللّغة الجغرافيّ، مفهومه وأصوله عند العلماء العرب، مجلّة الفكر المتوسّطيّ للبحوث والدّراسات في حوار الدّيانات والحضارات، مج: 7، ع: 2، سبتمبر 2018.

7 – بلجيلالي خيرة: اللّسانيات الجغرافيّة، وأثرها في توجيه الدّلالة – دراسة في المنطوق الأسريّ للغرب الجزائري أنموذجاً – دكتوراه لسانيات تطبيقيّة، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2017-2018.

هيكل البحث: وقد تمّ تقسيم البحث إلى مقدّمة ومدخل وفصلين، جاءت كما يلي:

المدخل:

ركّزنا فيه على ذكر التّعريفات اللّغويّة لكلّ من اللّغة واللّهجة واللّسان، في بعض المعاجم العربيّة وكلام العرب، ومواطن استعمالها مع توضيح الدّلالات المتقاربة لها.

الفصل الأوّل: بعنوان **اللّغة واللّهجة بين القدامى والمحدثين**، وقد جاء مقسّماً إلى سبعة عناوين فرعيّة تصبّ في مجملها في ماهية كلّ من اللّغة واللّهجة، سواء لدى القدماء، أو في منظور الألسنيّين المحدثين، وهل

هنـاك نقـاط تقـاطع أو اختلاف بـين المصـطلحين، إضـافة إلى تبيـان الأسـباب الموضـوعيّة، الـتي أدّت إلى نشـأة اللّهجات داخل اللّغة الواحدة، كما كانت لنا وقفة مع أنواع اللّهجات القديمة، ونظرة بعض اللّغويّين المحدثين لها، وصلة هذه الأخيرة بالقراءات القرآنيّة.

الفصل الثّاني: بعنوان **اللّسانيات العامّة، واللّسانيات الجغرافيّة**، وجاء مقسّماً إلى ثمانية عناوين فرعيّة، ركّزت على ذكر مفهوم ومناهج اللّسانيات، مع بسط القول في اللّسانيات الجغرافيّة؛ باعتبارها ذات علاقة وطيدة باللّهجات، وذلك من خلال البحث في طريقة عمل الأطالس اللّغويّة وأهمّيّتها في ميدان الدّرس اللّهجيّ، إضافة إلى ذكر وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ وأسباب التّنوّع اللّهجيّ حسب التّقسيمات الجغرافيّة.

وقد ذيّلنا كلّ فصل من الفصلين بخلاصة تتضمّن بعض النّقاط الهامّة، بينما جاءت الخاتمة كخلاصة عامّة تتضمّن ما توصّلنا إليه من نتائج.

الملحق: بعنوان: **دراسة للأصول العربيّة لبعض الألفاظ العامّية**، وهو محاولة لعرض بعض النّماذج لوجود أصول عربيّة للعديد من المفردات التي نستخدمها في حياتنا اليوميّة، لأنّ اللّهجات المحلّيّة هي مجرّد صور متنوّعة للّغة الفصحى، سواء في العربيّة أو في غيرها من اللّغات، وكان اختيارنا ضمن الحقول التّالية: أوّلا: حقّل الملابس ثانياً: حقل المأكولات ثالثاً: حقل الأواني رابعاً: حقل الخضر والفواكه خَامِساً: حقل الصّفات

المنهج المتّبع:

وقد استعنّا بالمنهجين التّحليليّ، والوصفيّ، حسب طبيعة البحث، وذلك في بذكر المفاهيم المتعلّقة بمصطلحي اللّغة واللّهجة، وذكر العلاقة بينهما، مع التّركيز على المصطلح الأخير، باعتباره من العلوم التي عرفت استقلالاً عن الدّرس اللّغويّ، وأصبحت لها مخابر ومراكز تعكف على دراستها وفق أسس علميّة.

مكتبة البحث:

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها:

*السّيوطيّ، جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها

*ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها.

*إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة.

*أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها.

*الحمد، عبد العزيز بن حميد، علم اللّغة الجغرافيّة بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، مقال، جامعة القصيم، مج: 6، 2013.

*خاطر، محمّد أحمد، في اللّهجات العربيّة – مقدّمة للدّراسة.

*خان، محمّد، اللّهجات العربيّة والقراءات القرآنيّة، دراسة في بحر المحيط.

*الرّاجحي عبده، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة.

*السّامرّائيّ إبراهيم ، في اللّهجات العربيّة القديمة.

*قدّور أحمد محمّد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق.

الصّعوبات

وقد واجهتنا بعض الصّعوبات المتعلّقة أساساً بتعدّد الآراء المتعلّقة بالموضوع، إضافة إلى عناء البحث عن المصادر المساعدة في البحث

مـدخــل

مفهوم اللّغة

مفهوم اللّسان

مفهوم اللّهجة

من المعلوم أنّ لكلّ قوم لغة خاصّة بهم، واللّغة من وسائل التّواصل البشريّ، لذلك فقد أولتها الأمم والجماعات عناية خاصّة، لأنّها جزء من الهويّة، وركن من أركان الثّقافة المحلّيّة والوطنيّة، بها تعقد الاجتماعات، وتعدّ الخطط الحربيّة، وتكتب التّقارير والعقود، وقد اهتمّت الأمم بدراسة اللّغة وتصنيفاتها منذ القدم، وعلى مرّ العصور، وفي مختلف الحضارات، لكنّ هناك بعض الإشكاليّات التي اعترضت تلك الدّراسات القديمة والحديثة، وهي ما يتعلّق بتطوّر بعض اللّغات واندثار بعضها، والأسباب التي أدّت إلى ذلك التطوّر والإندثار، وكيف استطاعت بعض اللّغات الحفاظ على وجودها فترات متعاقبة من الزّمن؟

ومن الإشكالات المتعلّقة بذلك نجد مسألة اللّهجات، وكيف يتمّ التّعامل معها – في ظلّ تشعّب الفروقات بين اللّهجات ذات المنبع الواحد –، خصوصاً من حيث المصطلح، إذ نجد أنّ العرب – على سبيل المثال – كانوا يطلقون مصطلح اللّغة بمعنى اللّهجة، فيقال مثلا: لغة هذيل ولغة تميم، ولغة قريش ... على الرّغم من كون هذه اللّغات عربيّة ولا تختلف إلّا من حيث توظيف بعض الأصوات مكان البعض الآخر، وحتّى لو اختلفت كثيراً فهي ليست مستقلّة عن اللّغة العربيّة، وبالتّالي فهي لهجات محلّية

فلكلّ قبيلة لهجتها الخاصّة بها، والتي يمكن أن تتشارك فيها مع قبائل أخرى، ويكون الاختلاف في توظيف بعض الأصوات مكان أخرى، بل حتّى لو وظّفت كلمات مكان كلمات أخرى، فهي لا تخرج عن المترادفات التي تعرف بها اللّغة الأمّ، فلكلّ لغة كلمات مترادفة تؤدّي المعنى نفسه سواء كان ذلك المعنى كلّيّاً أو جزئيًّا.

أوّلاً: اللّغة:

في هذا المدخل سنتطرّق إلى التّعريف اللّغويّ للكلمات التي سنشتغل عليها في البحث، ونعني بذلك كلًّا من اللّغة – اللّسان – اللّهجة، خاصّة وأنّ توظيفها جاء على نحو متشابه أحياناً ومختلف أحياناً أخرى، ممّا يستلزم توضيح الفروق التي من الممكن أن توجد بين المصطلحات المذكورة، وإمكانية وجود تشابه أو اختلاف، معتمدين في ذلك على ما ورد في المعاجم اللّغويّة العربيّة القديمة، وما ذكر في القرآن الكريم، والشّعر العربيّ، باعتبارها من المصادر الموثوقة في البحث اللّغويّ، ونرى أنّه من الصّعب إيجاد تعريفات دقيقة تخصّ كلّا من اللّغة – اللّسان – اللّهجة، لأنّ القدماء كانوا يستعملون اللّغة في معنى اللّهجة، واللّسان في معنى اللّغة، من هنا كان لزاماً عليها ذكر التّعريفات اللّغوية تاركين التّعريفات الاصطلاحيّة للفصل الموالي، والسّبب في ذلك هو أنّ للمحدثين مفاهيم تختلف عن القدماء في هذا الشّأن، خاصّة بعد تطوّر البحث اللّغويّ واللّساني لدى العرب والغرب.

ولنبدأ بتعريف "اللّغة"، كما وردت في المعاجم العربيّة، فهذا ابن دريد – على سبيل المثال – في مقاييس اللّغة يقول: اللّام والغين والحرف المعتلّ أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على الشّيء لا يعتدّ به، والآخر على اللّهج بالشّيء. فالأوّل اللّغو: ما لا يعتدّ به من أولاد

الإبل في الدّيّة. قال العبديّ[1]:

أَوْ مائَةٍ تُجْعَلُ أَوْلَادُهَا لَغْواً وَعُرْضَ الْمائَةِ الْجَلْمَدِ

يقال منه: لغا يلغو لغواً. وذلك في لغو الأيمان. واللّغا هو اللّغو بعينه. قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ﴾[2] أي ما لا تعقدوه بقلوبكم[3]

أمّا الجوهريّ فقد ذكر في تعريفه للّغة ما يلي: «لَغَا يَلْغُو لَغْواً، أَيْ قَالَ بَاطِلاً. يُقَالُ: لَغَوْتُ بِالْيَمِينِ. وَنُبَاحُ الْكَلْبِ لَغْوٌ أَيْضاً ... واللَّغَا: الصَّوْت ... واللُّغَةُ أَصْلُهَا لُغَيٌ أَوْ لُغَوٌ، والْهَاءُ عِوَض، وَجَمْعُهَا لُغَى مِثْلَ بُرَةٌ وَبُرَى، وَلُغَاتٌ أَيْضاً»[4]

فاللّغة — حسب التّعريفين السّابقين – تحمل المعاني التّالية: القول الباطل — وإبطال الأمر (الإلغاء) — ما لا يعدّ من الأيْمَان، ذلك أنّ الإنسان عندما يقسم بالله دون عمد لا يعتدّ به ولا يؤاخذ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ ﴾[5]. ففي تفسير

---

[1] – المثقّب العبديّ، العائذ بن محصن بن ثعلبة بن وائل (71–36 ق.هـ / 553–587 م)، من بني عبد القيس، من ربيعة، شاعر جاهليّ، من أهل البحرين، اتّصل بالملك عمرو ابن هند وله فيه مدائح ومدح ومدح النّعمان بن المنذر، عاصر الملك أبا قابوس عدّة سنوات، في شعره حكمة ورقّة. وهو القائل:

رَدَدْنَ تَحِيَّةً وَكَنَنَّ أُخْرَى وثقبن الوصاوص للعيون

ترجمته في: كنى الشّعراء، ص: 183 (رقم 316) للبغدادي محمّد بن حبيب – معجم الشّعراء الكبير، ص: 253 –

[2] – البقرة: 225.

[3] – ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1979، 5/255–256.

[4] – الجوهريّ، الصّحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 1039.

[5] – البقرة: 225.

هذه الآية، يقول أبو حيّان الأندلسيّ: «مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة، لأنّه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضاً للأَيْمان، كان ذلك حتماً لترك الأيمان وهم يشقّ عليهم ذلك، لأنّ العادة جرت لهم بالأيمان، فذكر أنّ ما كان منها لغواً فهو لا يؤاخذ به، لأنّه ممّا لا يقصد به حقيقة اليمين»[1] من ذلك قول العرب: لا والله. بلى والله.

وقد وردت لفظة (لغو) ومشتقّاتها في عدّة آيات من القرآن الكريم، وهي تحمل معنى الكلام الباطل، أو الذي لا خير فيه، وسنستعرض هنا بعض تلك الآيات مع ما ورد في تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿لاَ تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[2]: أي لا يسمع في الجنّة التي هم فيها كلمة لغو، وهذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره[3]. بينما ذكر القرطبيّ ستّة أوجه في شرح لفظة (لاغية) وهي مأخوذة عمّن سبقت من علماء اللّغة[4]:

أحدها يعني كذباً وبهتاناً وكفراً بالله عزّ وجلّ (عن ابن عبّاس)

الثّاني: لا باطل ولا إثم (عن قتادة).

---

[1] – الأندلسيّ الغرناطيّ، أبو حيّان محمّد بن يوسف، البحر المحيط في التّفسير، تح: زهير جعيد، بيروت، دار الفكر، 2010، 443/2.

[2] – الغاشية: 11.

[3] – ابن كثير الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر العربيّ، ج4، ص: 558.

[4] – القرطبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، تح: سالم البدريّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج: 20، ص: 23.

الثّالث: أنّه الشّتم (عن مجاهد).

الرّابع: المعسية (عن الحسن).

الخامس: لا يسمع في الجنّة حالف يحلف بكذب (عن الفرّاء والكلبيّ).

السّادس: لا يسمع في كلامهم كلمة لغو (عن الفرّاء)

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً﴾[1]

قال الزّمخشريّ: «اللَّغْوُ فُضُولُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلَ تَحْتَه، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ ظَاهِرٌ عَلَى وُجُوبِ تَجَنُّبِ اللَّغْوِ »[2] فالزّمخشريّ يؤيّد بكلامه الأوجه السّبقة للفظة اللّغو، أي كلّ ما لا فائدة تجنى من ورائه، من كلام، كالكذب والبهتان والشّتم، والأيمان الكاذبة، وكلّ باطل من الحديث أو الكلام، وهذه بعض الآيات التي ذكرت فيها مشتقّات اللّغو:

﴿وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[3]

﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيم﴾[4]

﴿وَالذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[1]

---

[1] – مريم: 62.

[2] – الزّمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط3، 2009، ص: 641.

[3] – المؤمنون: 3.

[4] – الطّور: 23.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[2]

ذكر الطّبريّ في تفسيره قوله: لا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به[3] .

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا﴾[4]

وفي الحديث الشّريف «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت»[5]

ومعنى لغا يلغو هنا: أنّه قال باطلاً، واللّغو هو الكلام السّاقط الباطل، وقيل أي: مِلت عن الصّواب، وقيل: تكلّمت بما لا ينبغي[6]

قال أبو العتاهية[7]:

---

[1] – الفرقان: 72.

[2] – فصّلت: 26.

[3] – الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مج: 11، بيروت، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص: 104. ويذكر في معنى آخر قريب من ذلك قوله: عن مجاهد: 'والغوا فيه. قال بالمكاء والتّصفير والتّخليط على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – إذا قرأ القرآن.

[4] – مريم: 62.

[5] – أخرجه البخاري، في حديث يحي بن بُكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب، عن أبا هريرة رقم (934) باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب.

[6] – الحمزاويّ، حسن العدويّ، النّور السّاري من فيض صحيح الإمام البخاريّ، تح: محمّد العزازي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج3، ص: 81.

[7] – أبو العتاهية (130–210هـ / 748–826م)، واسمه إسماعيل بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، كنيته أبو إسحاق، وأمّه أمّ زيد بنت زياد المحاربيّ مولى بني زهرة، أمّا سبب كنيته بأبي العتاهية ففيه قولان: أحدهما أنّ الخليفة المهديّ قال يوماً

الصَّمت فِي غير فكرة سَهْو والقول في غير حكمة لغو[1]

من تعاريف اللّغة ما يلي[2]:

اللّغة	مجموع الألفاظ والقواعد التي تتعلّق بوسيلة التّخاطب والتّفاهم بين جماعة من النّاس، وهي تعبّر عن واقع الفئة النّاطقة بها، ونفسيّتها، وعقليّتها، وطبعها، ومناخها الاجتماعيّ والتّاريخيّ
اللّغة	مجموع الألفاظ والأساليب الشّائع استعمالها في مؤلّفات أديب، أو بين فئة اجتماعيّة معيّنة
اللّغة الحيّة	هي التي ما تزال شائعة كتابةً وتكلّماً
اللّغة العامّيّة	هي التي يتكلّمها الشّعب، وهي في واقعها تشويه للّغة الفصحى لاسيما في البلدان العربيّة

ثانياً" اللّسان

وإذا انتقلنا إلى المصطلح الثّاني وهو اللّسان، فإنّنا نجد أنّه متعلّق باللّغة بشكل آلي؛ ذلك أنّ اللّسان يشير في كلامنا المتداول على تلك الجارحة التي بها يتم الكّلام والتّواصل بين النّاس، بمعنى أنّه العضو المسؤول عن إنتاج اللّغة والتّلفظ بها حتّى يتسنّى للغير الاستماع إليها وفهمها، ومع ذلك فقد استعملت المفردة للدّلالة على اللّغة، فنقول على سبيل المثال: لسان

له: "أنت إنسان متحذلق معتّه" والثّاني لمحمّد بن يحي قال: "كنّي بأبي العتاهية إذ كان يحبّ الشّهرة والمجون والتّعتّه" (مقدّمة الدّيوان).

[1] – أبو العتاهية، الدّيوان، بيروت، دار بيروت للطّباعة والنّشر، 1406هـ – 1986م، ص: 478.

[2] – جبّور عبد النّور، المعجم المفصّل في الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1979، ص: 227.

القوم: المتكلّم عنهم[1]، بمعنى أنّ كل من فوّضته الجماعة أو القوم للكلام نيابة عنهم يسمّى لساناً، على الرّغم من كونه بشراً مثلهم، والمقصود بذلك أنّ حديثه الذيب سينقله بمثابة خطاب جماعي أوكل به أحدهم، وربط ذلك باللسان لأنّه هو الجارحة التي سيتمّ بها التّواصل مع الشّخص الذي تودّ الجماعة إيصال الخطاب له.

جاء في مقاييس اللّغة: «اللّام والسّين والنّون أصل صحيح واحد، يدلّ على طول لطيف غير بائن، في عضو أو غيره. من ذلك اللّسان معروف، وهو مذكّر والجمع ألسن، فإذا كثر فهي الألسنة. ويقال لسَنْتَهُ، إِذَا أَخَذْتَهُ بِلِسَانِك»[2].

قال طرفة[3]:

وَإِذَا تَلْسُنُنِي أَلْسُنُهَا إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونِ غُمُرْ[4]

في لسان العرب: «اللِّسَانُ جَارِحَةُ الْكَلَامِ، وَقَدْ يُكَنَّى بِهَا عَنِ الْكَلِمَةِ فَيُؤَنَّثُ حِينَئِذٍ ... وَشَاهِدُ أَلْسِنَةِ الْجَمْعِ فِيمَنْ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [5]، وَشَاهِدُ أَلْسُنٍ الْجَمْعِ فِيمَنْ أَنَّثَ قَوْلَ الْعَجَّاج : أَوْ تَلْحَجُ الْأَلْسُنُ فِينَا مَلْحَجَا»[6]

[1] – المعجم المفصّل في الأدب، ص: 227.

[2] – مقاييس اللّغة، ص: 246.

[3] – طرفة ابن العبد البكريّ شاعر جاهليّ من أصحاب المعلّقات.

[4] – طرفة ابن العبد، الدّيوان، ص: 65.

[5] – الرّوم: 22.

[6] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادّة (لسن)، 270/17.

يقول الأعشى[1]:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

قال الحطيئة[2]:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَكْمِ

وفي قصيدة لحسّان بن ثابت الأنصاريّ[3]:

لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ[4]

قال تعالى: وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين

قال كثيّر[5]: [الطّويل]

[1] – ميمون بن قيس بن جندل (7هـ / 629م)، من بني قيس بن ثعلبة الوائليّ، يكنّى أبا بصير، وأعشى قيس، والأعشى الكبير، من شعراء الطّبقة الأولى في الجاهليّة، وأحد أصحاب المعلّقات، سمّي "صنّاجة العرب" (الأعلام، 341/7).

[2] – جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، أبو ملكيّة (ت: 45هـ / 665م) شاعر مخضرم، كان هجّاءً عنيفاً، أكثر من هجاء الزّبرقان ابن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطّاب، فسجنه بالمدينة، ثمّ أخرجه بعد استعطافه، ونهاه عن الهجاء فقال: إذاً تموت عيالي جوعاً (ترجمته في: الأعلام، 118/2).

[3] – أبو الوليد حسّان بن ثابت بن منذر، (ت: 54هـ / 674م) صحابيّ، شاعر من المخضرمين، عاش ستّين سنة في الجاهليّة، وستّين سنة في الإسلام، اشتهرت مدائحه في الغسّانيّين، وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه، وكان شديد الهجاء، ترجمته في الأعلام، 175/2.

[4] – الأنصاريّ، حسّان بن ثابت، الدّيوان، تح: عبد أ علي مهنّا، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط2، 1994، ص: 21. "يقول: بأنّ لسانه كالسّيف القاطع، وأنّ شِعره كالبحر النّظيف الذي لا تؤثّر فيه الدّلاء التي يستقى بها.

[5] – كثيّر بن عبد الرّحمن بن الأسود بن عامر الخزاعيّ (ت: 105هـ / 723م)، يكنّى بأبي صخر، شاعر متيّم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختصّ به وببني مروان، أخباره مع عزّة بنت جميل كثيرة. (ترجمته في الأعلام: 219/5).

نَمَتْ لِأَبِي بَكْرٍ لِسَانٌ تَتَابَعَتْ بِعَارِفَةٍ مِنْهُ فَخَصَّتْ وَعَمَّتِ[1]

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ أي بلغة قومه، ومنه قول الشّاعر: أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – «وَذَكَرَ امْرَأَةً فَقَال: إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْكَ لَسَنَتْكَ أَيْ أَخَذَتْكَ بِلِسَانِهَا، يصفها بالسّلاطة وكثرة الكلام والبذاء، واللّسَنُ – بالتّحريك – الفصاحة»

يقول تعالى: وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا

وَنَعْلٌ مُلَسَّنَةٌ إِذَا جُعِلَ طَرَفُ مُقَدَّمِهَا كَطَرَفِ اللِّسَان[2]

قال كثيّر: [الطّويل]

لَهُمْ أُزُرٌ حُمْرُ الْحَوَاشِي يَطَؤْنَهَا بِأَقْدَامِهِمْ فِي الْحَضْرَمِيِّ الْمُلَسَّنِ[3]

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ نَعْلَهُ كَانَتْ مُلَسَّنَة

ثالثاً: اللّهجة

يقول الجوهريّ: «اللّهْجُ بِالشَّيْءِ الْوُلُوعُ بِه، وَقَدْ لَهِجَ بِهِ بِالْكَسْرِ يَلْهَجُ لَهْجاً، إِذَا أُغْرِيَ بِهِ فَثَابَرَ عَلَيْه ... واللَّهْجَةُ اللِّسَانُ، وَقَدْ يُحَرَّكُ. يُقَالُ: فُلَانٌ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهَجَة»[1]

[1] – كثيّر عزّة، الدّيوان، تح: إحسان عبّاس، بيروت، دار الثّقافة، 1981، ص: 323.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، 271/17.

[3] – كثيّر عزّة، الدّيوان، ص: 252.

وفي لسان العرب: «واللّهْجَةُ وَاللَّهَجَةُ طَرَفُ اللِّسَان، واللّهْجَةُ وَاللَّهَجَةُ جَرَسُ الْكَلَامِ، والْفَتْحُ أَعْلَى، وَيُقَال فُلَانٌ فَصِيحُ اللّهْجَةِ وَاللَّهَجَةِ وَهِيَ لُغَتُهُ التِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا وَنَشَأَ عَلَيْهَا»[2]

قال الشّمّاخ[3]:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا يَرَى بسَفَى البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

وقال القرطاجنّي[4]: [الكامل]

وَإِذَا لَهِجْتَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَأْرَبٍ فِيمَا يُؤَدِّي لِلسَّلَامَةِ فَالْهَجِ[5]

---

[1] – الجوهريّ، الصّحَاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، مادّة (لهج)، ص: 1048-1049.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادّة (لهج)، 183/3.

[3] – معقل بن ضرار بن حرملة بن سنان المازنيّ الذّبيانيّ الغطفانيّ، والشّماخ لقب أو كنية (ت: بعد 30 هـ / بعد 651م) شاعر مخضرم، جعله ابن سلّام ضمن طبقة لبيد والنّابغة، كان شديد متون الشّعر، ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أرجز النّاس على البديهة، شهد القادسيّة، وتوفّي في غزوة موقان في زمن عثمان ابن عفّان – رضي الله عنه – (ترجمته في: معجم الشّعراء المخضرمين: ص: 205 – كُنى الشّعراء، ص: 163 ترجمة رقم (264) – طبقات فحول الشّعراء – الأعلام: 175/3)

[4] – حازم بن محمّد بن حسن ابن حازم القرطاجنّي، (608-684هـ / 1211-1285م)، أبو الحسن، أديب من العلماء، له شعر، من أهل قرطاجنّة بشرقيّ الأندلس، تتلمذ على أبي علي الشّلوبين، ثمّ هاجر إلى مراكش ومنها إلى تونس، حيث توفّي بها من كتبه: " سراج البلغاء ومنهاج الأدباء". (الأعلام: 159/2).

[5] – القرطاجنّي، حازم بن محمّد بن حسن، الدّيوان، تح: عثمان الكعّاك، سلسلة المكتبة الأندلسيّة، ع9، بيروت، دار الثّقافة، د.ط، د.ت، ص: 31.

الفصل الأوّل:

اللّغة واللّهجة بين القدامى والمحدثين

1 – ماهية اللّغة عند القدامى،والمحدثين

1 - اللّغة عند العرب القدامى

2 – اللّغة في منظور الألسنيّين الغربيين

2 – مفهوم اللّهجة عند القدامى والمحدثين

1 – اللّهجة عند القدامى

2 – اللّهجة عند المحدثين

3 - الفرق بين اللّغة واللّهجة:

4 - أسباب نشأة اللّهجات

5 - أنواع اللّهجات العربيّة

أوّلاً: اللّهجة العربيّة البائدة:

ثانياً: اللّهجة العربيّة الباقية:

6 - نظرة بعض اللّغويّين المحدثين إلى اللّهجات

7 - القراءات وصِلتها باللّهجات

تمهيد

اللّغة من المكوّنات الأساسيّة في كلّ أمّة من الأمم، لأنّها جزء من هويّتها، لذلك نجد دراسات عديدة ومتنوّعة حول اللّغات في القديم في الحديث تعنى باللّغة وصرفها ونحوها وأصواتها، واللّغات تختلف باختلاف الشّعوب، وهي مقسّمة إلى مجموعات، منها الهندو أوربّيّة، والأفرو آسيويّة، وغيرها من العائلات، وهذه اللّغات تختلف في درجة انتشارها حول العالم، بل إنّ هناك لغات عالميّة حيّة، وأخرى محلّيّة، وعلى كلّ، فإنّ هناك العديد من الجهود في الدّرس اللّساني الحديث لإحصاء وتصنيف اللّغات حسب العائلات المنتمية إليها.

كما أنّ لكلّ لغة مجموعة من اللّهجات المتفرّعة عنها، انطلاقا من التّوزيع الجغرافيّ، ومن أمثلة ذلك تفرّع اللّغة العربيّة إلى لهجات يمنيّة وقيسيّة وحجازيّة ومغربيّة وغيرها، لدرجة أنّ بعض التّعابير والألفاظ التي يستعملها المشرقيّ قد لا يفهمها سكّان المغرب إلّا بعد تعوّدهم عليها وعلى معناها لديهم، رغم أنّ اللّغة الفصحى واحدة، وستكون لنا وقفة عند تعريف اللّغويّين القدامى والمحدثين للّغة واللّهجة، مع ملاحظة أنّ القدماء من العرب كانوا يعبّرون عن اللّهجات بكلمة "لغة" كما سنرى، وكان الاختلاف بين لهجات شمال الجزيرة العربيّة وجنوبها شاسعاً.

أمّا في العصر الحديث، فقد تطوّرت الدّراسات اللّغويّة واللّهجيّة، وتمّ الفصل بين المصطلحين، لدى العرب والغرب، وقد ساهم في ذلك التّطوّر توفّر الإمكانات التي تسمح بالمقارنة والتّجريب والتّنقّل وغيرها، إضافة إلى ظهور اللّسانيات كعلم قائم بذاته، ولم تكن الدّراسات الحديثة سوى امتداداً للجهود التي قام بها اللّغويّون القدماء لدى سواء في ذلك العرب والغرب.

1 – تعريف اللّغة عند اللّغويّين العرب القدامى والمحدثين

1 – 1 – اللّغة عند القدامى

أ – عند ابن جنّي: يحدّد "ابن جنّيّ" اللّغة على النّحو التّالي: «أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ... وأمّا تصريفها ومعرفة حروفها، فإنّها فُعْلَةٌ مِنْ لَغَوْتُ. أَيْ تَكَلَّمْتُ؛ وأصلها لُغوة ككرة وقُلة، وثُبة، كلّها لاماتها واوات»[1].

فاللّغة – في نظر "ابن جنّي" – هي أصوات يستعملها الإنسان في مجال التّعبير عن أغراضه ومقاصده، أو هي وسيلة للتّعبير عن آرائه ومتطلّباته، فاللّغة ممارسة بين أفراد المجتمع، كما أنّها ذات صلة بالتّفكير، وهو يذكر شيئاً من أصولها اللّغوية، ويحيل في ذلك كلّه إلى كتابه "سرّ صناعة الإعراب"، فابن جنّي قد أعطى تعريفاً يربط بين الأصوات ووظيفتها التّواصليّة والتّعبيريّة، ضمن إطار ثقافيّ معيّن، ومن المعروف أنّه مال إلى الرّأي القائل

ب – اللّغة عند "ابن سنان الخفاجيّ":

يحدّد "الخفاجيّ" اللّغة على النّحو التّالي: «اللّغة هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام، أو يكون توقيفاً، يقال في لغة العرب – إنّ السّيف القاطع حسام – ... وقد قيل في اشتقاقها: إنّها مشتقّة من قولهم: لغيت بالشّيء، إذا أولعت به وأغريت به، وقيل: بل هي مشتقّة من اللّغو، وهو

[1] – ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، المكتبة العلميّة، د.ط، د.ت، ج:1، ص: 33.

النّطق، ومنه قولهم: سمعت لواغي القوم أي أصواتهم»[1].

يركّز هذا التّعريف على الطّبيعة الاصطلاحيّة في اللّغة الإنسانيّة، فاللّغة تتيح بالذّات لمتكلّميها التّواصل عبر قناة بثبات الاصطلاح.

ت – اللّغة عند "ابن خلدون":

يعرّف "ابن خلدون" اللّغة على النّحو التّالي: «اعلم أنّ اللّغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلّم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملَكات وأوضحها إبانة عن المقاصد»[2].

فابن خلدون يسير على نفس النّهج الذي سار عليه أسلافه في تبيان الطبيعة الوظيفيّة للّغة، والمتمثّلة في التّواصل بين أفراد بيئة ما صغيرة كانت أم كبيرة، وكذا ربطها بوجوب وجود فائدة من الكلام بها، وهو ما أشار إليه ب"القصد"، وتوظيفها بواسطة جارحة اللّسان.

2 – اللّغة في منظور الألسنيّين الغربيّين

سنكتفي بالآراء السّابقة بخصوص اللّغة لدى القدماء، لننتقل إلى تعريفها لدى أشهر الألسنيّين المحدثين، وعلى رأسهم العالم الألسني "سوسير"، الذي كان له الفضل في بحث اللغة بحثاً

[1] – الخفاجي، أبو محمّد ابن سنان، سرّ الفصاحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1982، ص: 48.

[2] – ابن خلدون، عبد الرّحمن، المقدّمة، تح: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 2001، ص: 753.

علميًّا، وذلك في كتابه: "دروس في الألسنيّة العامّة"، وقد ميّز فيه بين اللّغة الوصفيّة واللّغة في إطارها التّاريخي التّعاقبيّ، كما سنذكر تعريفات بعض اللّغويّين الغرب ممّن تركوا بصمة في الدّرس اللّساني الحديث، وساروا على نهج "سوسير"، وظهور المدارس اللّسانيّة، أمثال "بلومفيلد"، "سابير"، "مارتينيه" ...

أ – اللّغة عند "فرديناند دي سوسير":

يُعتبر سوسير من أشهر الدّارسين للّغة واللّسان في بدايات القرن العشرين، فقد «كان لهذا العالم السّويسري الفضل في كونه أوّل من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللّسانيات، من حيث هو بديل منهجيّ عن المنهج التّاريخي في رصد الظّاهرة اللّسانيّة والكشف عن أنظمتها ووظيفتها»[1]، وهو صاحب الثّنائيات اللّسانية المعروفة[2]، والتي قام – على ضوئها – تلاميذه بإثراء البحث فيها وتطويرها ضمن الإطار البنيوي، الذي أصبح منهجاً فلسفيًّا قائماً بذاته، فهو يعرّف اللّغة بكونها: « اللّغة تنظيم من الإشارات المفارقة»[3]

ف"سوسير" يعتبر اللّغة تنظيماً أو نظاماً من الإشارات أو العلامات، وهو يشبّهها بلعبة الشّطرنج، لأنّ كليهما يتكوّن من مجموعة عناصر لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، بل إنّها

[1] – بوقرة نعمان، المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 75.

[2] – ميّز سوسير بين ثنائيّة (لسان –كلام) ، فاللّغة langage ظاهرة إنسانيّة لها أشكال متعدّدة، أمّا اللّسان Langue فهو جزء متحقّق من اللّغة بمعناها الواسع، ويشكّل نظاماً متعارفاً عليه داخل جماعة محدّدة، بينما الكلام Parole يشير إلى مفهوم فرديّ، والثّنائية الثانية هي (الدّال والمدلول) فالأوّل Signifiant هو الصّورة الصّوتيّة والثّاني Signifié هو الصّورة المفهوميّة، وتتمّ الدّلالة Signification باقتران المفهومين إضافة إلى ثنائيتي (تزامن تعاقب)، (استبدال – توزيع).

[3] – زكريّا، ميشال، الألسنيّة: المبادئ والأعلام، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، ص: 228.

تؤدّي دورها داخل المجموع، فلا يمكننا الزّيادة في الكمّ ولا الإنقاص، كما يفرّق في كليهما بين ما هو خارجيّ وما هو داخليّ، يقول: «فأن تكون هذه اللّعبة انتقلت من بلاد فارس إلى أوربّا إنّما هو أمر خارجيّ، أمّا الدّاخليّ منها فهو على العكس كلّ ما يتعلّق بنظام هذه اللّعبة وقواعدها، وإن نحن عوّضنا بعض القطع الخشبيّة بأخرى من العاج، فإنّ هذا التّعويض لا ينال من نظام اللّعبة وقواعدها ...»[1]

ب – اللّغة عند "إدوارد سابير":

يعرّف الألسنيّ "إدوارد سابير" اللّغة على النّحو التّالي: «إنّ اللّغة وسيلة لا غريزيّة خاصّة بالإنسان، يستعملها لإيضال الأفكار والمشاعر والرّغبات، عبر رموز يؤدّيها بصورة اختياريّة وقصديّة»[2].

فاللّغة – في رأي "سابير" – وسيلة التّواصل الإنسانيّة، تتكوّن من رموز يؤدّيها المتكلّم لإيصال أفكاره؛ فالمتكلّم حين يستعمل اللّغة يستعملها بصورة اختياريّة وقصديّة عبر تصميم حرّ. وهي خاصيّة تميّز الإنسان باعتبارها كائناً عاقلاً، يعبّر عمّا يختلج في صدره بواسطة لغته التي يشترك فيها مع جماعته.

[1] – سوسير، فرديناند، علم اللّغة العامّ، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، ع: 3، 1985، ص: 41. وكذلك: دروس في الألسنيّة العامّة، تر: صالح القرمادي، الدّار العربيّة للكتاب، 1985، ص: 47.

[2] – وعلي بوجمعة، اللغة العربيّة والتّنمية، المسيرات والمعيقات، ط1، أكتوبر 2018، kutub l.t.d، لندن، ص: 21.

وأهمّ ما ميّز نظريّة "سابير" ما يلي[1]:

1- التفريق بين النّظام الفيزيائيّ للغّة والمتمثّل في الكلام، وبين نظامها المثاليّ.

2- يحتوي النّظام المثاليّ على العناصر العلاقات ووظائفها، وهذه العناصر هي التي تكوّن اللّغات وتباين بينها.

3- كلّ لغة ذات نظام مثاليّ، تحلّل الواقع وتفرض هذا المنهج على كلّ متكلّميها.

4- اللّغة وسيلة لتكوين الفكر.

5- النّماذج اللّسانيّة عليقة بالنّماذج الثّقافيّة – الاجتماعيّة والأنماط السّلوكيّة.

ت – اللّغة عند "ليونارد بلومفيلد":

يعرّف الألسنيّ "بلومفيلد" اللّغة على النّحو التّالي: «إنّ الكلام – الأصوات الخاصّ الذي يتلفّظ به الإنسان، من خلال سيطرة مثير معيّن، يختلف باختلاف المجموعات البشريّة. فالبشر يتكلّمون لغات متعدّدة ... كلّ طفل يترعرع في مجموعة بشريّة معيّنة يكتسب هذه العادات الكلاميّة والاستجابيّة في سنين حياته الأولى»[2].

من خلال هذا التّعريف، يجعل "ليونارد بلومفيلد" من اللّغة عادة "إنسانيّة كلاميّة"، وقد تبنّى هذه النّظرة من النّظريّة السّلوكيّة المعروفة في علم النّفس؛ إذ يعتبر أنّ عمليّة التّكلّم تخضع

[1] – ينظر: العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، بيروت، أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2004، ص: 26-27.

[2] – وعلي بوجمعة، المرجع السّابق، ص: 21

لتأثير المثير، وإلى الاستجابة لهذا المثير، وإنّ الطّفل يكتسب هذه العادات الكلاميّة خلال ترعرعه في بيئته.

ث – اللّغة عند "أندريه مارتينيه"[1]:

"أندريه مارتينيه" لسانيّ فرنسيّ اشتهر بالمنهج الوظيفيّ، الذي يدرس اللّغة من خلال البحث في الوظائف (les fonction) التي تؤدّيها في المجتمع، وهو صاحب كتاب "مبادئ في اللّسانيات العامّة" (élement de linguistique générale)، حيث عرّف اللّغة على النّحو التّالي: «إنّ اللّغة أداة تواصل، تحلّل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كلّ تجمّع إنسانيّ، عبر وحدات تشتمل على محتوى دلاليّ، وعلى عبارة صوتيّة (المونامات)، وهذه العبارة الصّوتيّة تتلفّظ بدورها في وحدات مميّزة ومتتابعة (الفونامات)، عددها محدود في كلّ لغة»[2].

فوظيفة اللّغة – في نظر مارتينيه – هي التّواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه اللّغة، وهذه الوظيفة تؤدّيها اللّغات بصورة أساسيّة، بالرّغم من اختلاف بنيتها وتباينها فيما بينها.

ج – اللّغة عند "نعوم تشومسكي":

[1] – من أهمّ المبادئ التي تبنى عليها أفكار مارتيني ما أسماه بالتّقطيع المزدوج (La double articulation)، وينصّ على أنّ تحليل الوحدات اللّغويّة يتمّ على مستويين: 1 – التّقطيع الأوّليّ: الذي يتكوّن من الكلمات الدّالّة (Les monèmes)، 2 – التّقطيع الثّانويّ: الذي ينطلق من هذه النّتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلّة ذات المحتوى الصّوتيّ والدّلاليّ إلى فونيمات (Les phonèmes) يراجع كتاب أندريه مارتينيه: مبادئ في اللّسانيات العامّة، دار الآفاق، ص: 18.

[2] – وعلي بوجمعة، المرجع السّابق، ص: 21

يحدّد "تشومسكي" اللّغة من منطلق ما يسمّيه بالكفاية اللّغويّة[1] أو الملكة اللّسانيّة: «إنّ كلّ من يمتلك لغة معيّنة قد اكتسب في ذاته، وبصورة ما، تنظيم قواعد تحدّد الشّكل الصّوتيّ للجملة ومحتواها الدّلاليّ الخاصّ. فهذا الإنسان قد طوّر في ذاته ما نسمّيه بالكفاية اللّغويّة (الملكة اللّسانيّة ...يشير مصطلح الكفاية اللّغويّة (الملكة اللّسانيّة) إلى قدرة المتكلّم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللّغويّة وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته»[2].

فاللّغة – عند تشومسكي – ميزة إنسانيّة مكتسبة وهي نظام من القواعد، يقوم الإنسان بتوظيفها انطلاقاُ من ملكته اللّسانيّة.

2 – اللّهجة عند القدامى والمحدثين

2 – 1 – اللّهجة عند القدامى

إذا بحثنا في جهود القدماء حول اللّهجات نجدها متنوّعة تنوّع اللّهجات نفسها، وقد قاموا بدراسة نماذج منها دراسة صوتية وصرفيّة ونحويّة، مبيّنين مواطن الاتّفاق والاختلاف فيما بينها، وليس بالإمكان هنا عرض كلّ ذلك، وحسبنا أن نشير إلى نماذج من تلك الدّراسات التي ألّفت فيها كتب عامّة، وأخرى متخصّصة، وعلى العموم فإنّ الاختلاف الصّوتي والنّحوي بين اللّغات (اللّهجات) العربيّة القديمة ليس عيباً، إذ لا يعدو أن يكون صوراً من العربيّة الفصحى، أو وجها

[1] – يميّز تشومسكي بين ما يعرفه المتكلّم لغة ما معرفة ضمنيّة، وهو ما يسمّيه بكفايته his Competence وما يفعله بهذه المعرفة، وهو ما يسمّيه أداءه his Performance . المعرفة التي تكمن في مقدرة الشّخص على استعمال لغته، هي إذن معرفة ضمنيّة (المرجع: محمّد العيد، النّصّ والخطاب والإتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، 2014، ص: 20)

[2] – تشومسكي نوام، البنى النّحويّة، تر: يؤيل يوسف عزيز، بغداد، الدّار الثّقافيّة العامّة، ط1، 1986، ص: 126.

من أوجهها المتنوّعة، والتي تصبّ في مجرى واحد. لكنّ هناك ملاحظة تتعلّق بالتّركيز على لهجتين هما التّميميّة والحجازيّة.

والجدير بالذّكر أنّ مصطلح "اللّهجة" لم يستخدمه اللّغويّون القدماء، بل استخدموا مصطلح اللّسان، فقالوا: "لسان قريش وتميم"، أمّا في الغالب فكانوا يستخدمون مصطلح "لغة" وهم يقصدون اللّهجة، وقد ألّفت في ذلك عشرات الكتب، نذكر منها: (كتاب اللّغات) وهو عنوان مشترك لمؤلّفات كلّ من يونس بن حبيب (ت: 182 هـ)، والفرّاء (ت: 207 هـ)، وأبي عبيدة (ت: 209 هـ)، وأبي زيد الأنصاريّ (ت: 215 هـ)، وابن دريد (ت: 321 هـ) والأصمعيّ (ت: 212 هـ)، و(كتاب في لغات القرآن) له أيضاً، و(ما ورد في القرآن من لغات القبائل) لأبي عبد القاسم بن سلّام (ت: 224 هـ) ...

ففي "كتاب سيبويه" شواهد كثيرة لا ينسبها إلى أي لهجة من اللّهجات، ولا ندري السّبب في ذلك، ولعلّه راجع إلى أنّه سمعها بالرّواية، ومن ذلك قوله عبارات من قبيل: «سمعت ممّن أثق به من العرب، وقد قال قوم من العرب ترضى عربيّتهم، نحو قولهم»[1]، ومثل هذه العبارات موجود في الكتاب في عدّة مواضع، مع العلم أنّ لهجة تميم ولهجة الحجاز هما اللّهجتان اللّتان أخذتا حظًّا أوفر من غيرهما من ناحية التّصريح المباشر. فلو تأمّلنا ما جاء في باب: "هذا ما يُختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيًّا عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصّفات"،

[1] – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص: 230 – ص: 234.

وجدنا تصريحاً من قبل سيبويه مفاده:

«وذلك قولك: الحمد لله، والعجب لك، والويل لك ... وإنّما استحبّوا الرّفع؛ لأنّه صار معرفة، وهو خبر، فقوي في الابتداء ... ومن العرب من ينصب بالألف واللّام، من ذلك قولك: الحمد لله، فينصبها عامّةُ بني تميم وناس من العرب كثير»[1]

كما نلمح في الكتاب ترجيحاً لبعض اللّهجات على حساب أخرى، وذلك في عديد الأبواب، من ذلك ما ذكره في باب "هذا باب الإضمار في ليس وكان، كالإضمار في إنّ" حيث قال: «وقال مزاحم العقيلي: [الطّويل]

«وقالوا تعرفها المنازلَ من منى وما كلَّ مَن وافى منى أنا عارف»

وقال بعضهم: «وما كلٌّ من وافى منى أنا عارف»

لزم اللّغة الحجازيّة فرفع، كأنّه قال ليس عبدُ الله أنا عارف، فأضمر الهاء في عارف، وكان الوجه عارفه، حيث لم يُعمل عارف في كلّ، وما كان هذا أحسن من التّقديم والتّأخير»[2] فـ"سيبويه" هنا قد رجّح اللّغة الحجازيّة (ما كلٌّ) على اللّغة التّميميّة (ما كلَّ)

ونجد في كتبهم استعمال كلمة (لفظ رديء)، و(لغة رديئة)، من ذلك مثلا ما أورده "المبرّد" في باب (الإخبار في باب الفعلين المعطوف أحدهما على الآخر)، حيث يقول: «وقال آخرون:

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص: 329.

[2] – المصدر نفسه، ص: 72.

تقول: الضّارب أنا والضّاربيّ زيد، فلا تذكر في الضّارب شيئاً، فيقال لهم إن لم تريدوا الهاء فالكلام مُحال، لأنّه لا يرجع إلى الألف واللّام اللّتين في معنى الذي شيء، فيقولون: نريدها، ونحن نحذفها، ولا اختلاف في أنّ حذفها من صلة الألف واللّام رديء جدًّا»[1]

وفي السّياق نفسه، فإنّ اللّهجات لم تكن يوماً في مقام واحد لدى اللّغويّين، إذ إنّهم كانوا ينسبون الفصاحة إلى بعضها دون البعض الآخر، الذي كان محطّ انتقاد، ويدخل في خانة الرّداءة، نلمح ذلك في الصّاحبي لابن فارس، الذي خصّص باباً سمّاه (باب اللّغات المذمومة) يقول فيه: «أمّا العنعنة التي تذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً، يقولون: "سمعت عَنَّ فلاناً قال كذا"، يريدون أنّ»[2].

وكلّنا يعلم أنّ البصريّين كانوا حريصين على الأخذ من لهجات معيّنة، يعتبرونها أقرب إلى الفصحى، ويستبعدون كلّ ما عدا ذلك من اللّهجات، نلمس ذلك في الشّواهد النّحويّة التي أقرّوها في مؤلّفاتهم، والتي كانت ترتكز على عوامل جغرافيّة صارمة، على عكس الكوفيّين الذين توسّعوا في الأخذ والاستشهاد، حتّى إذا انتقلنا إلى القرن الرّابع الهجريّ، رأينا شيئاً من التّوسّع، فلو تصفّحنا كتاب "الخصائص" على سبيل المثال لا الحصر، نجده يعقد أبواباً حول اللّهجات، منها مثلاً (باب اختلاف اللّغات وكلّها حجّة)، فقد أشار إلى موازنات بين لهجات القبائل، لكنّه قال: «إلّا أنّ إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنّه يكون مخطئاً لأجود اللّغتين، فأمّا

[1] – المبرّد، أبو العبّاس، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة الميمنيّ، ط2، القاهرة، 1994، ص: 115.

[2] – ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص: 29.

إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنّه مقبول منه غير منعيّ عليه»[1].

وأشار "ابن جنّيّ" إلى ضرورة التّمييز للظّاهرة اللّغويّة المسموعة من العرب والرّواة، فهو يقول في ذلك: «فليت شعري، إذا شاهَد "أبو عمرو" و"ابن أبي إسحاق" و"يونس" و"عيسى بن عمر" و"الخليل" و"سيبويه" و"أبو الحسن" و"أبو زيد" و"خلف الأحمر" و"الأصمعيّ" ومن في الطّبقة وعلماء البلدين وجوهَ العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤدّيه الحكايات، ولا تضبطه الرّوايات، فتضطرّ إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها، وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير متّهم الرّأي والعقل»[2]

2 – 2 – اللّهجة عند المحدثين

أمّا المحدثون فإنّهم قد انتقدوا المنهج المتّبع في دراسات اللّهجات، وقالوا بأنّ اللّهجة مجموعة من الصّفات اللّغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات، ويشير "جونستون" إلى أنّ دراسة اللّهجات في العصر الحديث بدأت على أيدي المستشرقين[3]، «وكانت في معظمها تتميّز بالخلط وكثرة الأخطاء، إذ لم تكن الدّراسات اللّغويّة قد تقدّمت، ولم تكن وسائل التّسجيل

[1] – ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، المكتبة العلميّة، ج2، ص: 10.

[2] – المصدر نفسه، ج1، ص: 148.

[3] – يذكر جونستون أمثلة على هؤلاء المستشرقين، منهم: برجستراسر الذي ألّف أطلساً أطلق عليه "أطلس لهجات سوريا وفلسطين" (1915) – ج. كانتينو صاحب "اللّهجة العربيّة في تدمر" (1934)، وآخر عن "لهجة حوران" (1946) – قالين (1948) ...

والملاحظة والقياس قد تطوّرت إلى ما نراها عليه في الوقت الحاضر. أمّا الآن فإنّنا نجد في الغرب دراسات متطوّرة جديدة؛ فقد أصبح البحث اللّغويّ علماً معقّداً يستفيد من الرّياضة والعلوم الأخرى بشكل كبير»[1].

أمّا بخصوص دراسة العرب المحدثين للموضوع فإنّ "جونستون" يشير إلى نقطة هامّة، تتعلّق بالبيئة التي نشأت فيها تلك الدّراسات، وهي الجامعات الغربيّة، التي ساعدت الباحثين العرب على تقديم أطاريحهم، وهو يذكر عدداً لابأس به من هؤلاء الطّلبة والباحثين العرب، الذين كتبوا بحوثاً لهجيّة في الجامعات الأوربّيّة والأمريكيّة: «وذلك لوفرة الاستعدادات في هذه الجامعات، ممّا يعين على الدّراسة في هذا المجال. فوجدنا كثيراً من الموفدين العرب يقدّمون الأطروحات في لهجات بلادهم؛ ولعلّ البحثين المصريّين أسبق الدّارسين إلى البحث في اللّهجات على أسس علميّة حديثة»[2].

فهذا "أنيس فريحة" ألفيناه يعرض بعض الآراء المتعلّقة بمنزلة اللّهجة من اللّغة، وكيف يمكننا القول بأنّ تلك لغة بينما غيرها لهجة، وهو بذلك يدافع عن اللّهجة، باعتبارها لا تقل أهمّيّة ومستوى عن اللّغة، ويرجع السّبب في ذلك إلى ما أسماه بالسّلطة العليا، ويذكر أربعة عوامل لها

[1] – جونستون، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربيّة، تر: أحمد محمّد الضّبيب، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ط2، 1983، ص: 14.

[2] – جونستون، المرجع السّابق، ص: 16.

وهي[1]:

أ – العامل العسكريّ – السّياسيّ

ب – العامل الدّينيّ

ج – العامل الأدبيّ

د – العامل الاجتماعيّ الطّبقيّ

والرّأي نفسه نجده لدى "عبد الغفّار حامد هلال"[2]؛ حيث ذكر العوامل الأربعة، التي تساعد على استقلال لهجة ما وصيرورتها إلى لغة قائمة بذاتها، وقد ذكر أمثلة على تبيّن ما أشار إليه[3].

وإذا انتقلنا إلى "إبراهيم أنيس" – على سبيل المثال – يذكر بأنّ اللّهجة (Dialect) تنشأ داخل بيئة خاصّة بها، وبالتّالي فاختلاف البيئات يؤدّي إلى اختلاف اللّهجات، كما أنّ البيئة الشّاملة، تضمّ مجموعة من البيئات الخاصّة، والتي تشترك في اللّغة، رغم اختلافها اللّهجي، فاللّغة

[1] – فريحة، أنيس، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989 ص: 18. يقول: "وليس من الضّروريّ أن تكون السّلطة العليا عاملاً مفرداً، أي مكوّناً من عامل واحد، بل قد يتداخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه السّلطة".

[2] – هلال، عبد الغفّار حامد، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص: 36.

[3] – المثال الأوّل عن اللّهجات الرّوسيّة التّشيكيّة والبلغاريّة التي أصبحت لغات معترفاً بها بعد استقلالها – المثال الثّاني: ارتقاء العربيّة الفصحى من لهجة حجازيّة نجديّة إلى مرتبة أدبيّة سامية – المثال الثّالث: لغة إيطاليا الحديثة هي اللّهجة التي كتب بها الأدباء وأصلها فلورنسا – المثال الرّابع: لهجة باريس

أعمّ من اللّهجة.[1]

ويمكن أن نمثّل لذلك بالجدول التّالي:

البيئة الشّاملة: لغة واحدة						
بيئة 1 لهجة 1	بيئة 2 لهجة 2	بيئة 3 لهجة 3	بيئة 4 لهجة 4	بيئة 5 لهجة 5	بيئة 6 لهجة 6	بيئة 7 لهجة 7

ولا يختلف الأمر كثيراً عند "محمّد رياض كريم"، الذي يعرض الآراء السّابقة، والمتعلّقة بشمولية اللّغة بالنّسبة للّهجات، ويضيف إلى ذلك قوله: «وقد تتميّز اللّهجة بقليل من صفات، ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات، فيروي أنّ بعضاً من تميم كانوا يقولون "مديون"، وغيرهم يقول "مدين" في اسم المفعول من الفعل الثّلاثيّ الأجوف اليائيّ، وأنّ بني أسد كانوا يقولون: "سكرانة" بدلاً من "سكرى"، التي كان ينطق بها سائر العرب»[2].

فاللّهجة هي صورة من صور اللّغة في جانبها المحلّي، لذا فإنّ اللّهجات المنبثقة عن اللّغة نفسها، تكون لها نفس المعاني للكلمات والعبارات، وقد يتفاهم أفراد تلك اللّهجات أثناء الحديث، على الرّغم من تلك الفروقات الصّرفية التي تعتري بعض الألفاظ، وهذا الأمر موجود بكثرة في اللّهجات العربيّة القديمة منها والحديثة.

كما نجد رأياً قريبا من ذلك، لدى "محمّد النّادريّ"، الذي يشير إلى وجود مستويين من اللّغة لدى كلّ فرد من الأفراد ضمن جميع البيئات الجغرافيّة، وذلك في قوله: «ويؤكّد استقراء واقع

[1] – ينظر، أنيس إبراهيم، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2002، ص: 15.

[2] – كريم، محمّد رياض، المقتضب في لهجات العرب، التركي للكمبيوتر والطّباعة، طنطا، 1996، ص: 55.

الجماعات اللّغويّة في العالم وجود أكثر من مستوى لغويّ داخل الجماعة الواحدة، أي وجود لغة فصحى ولهجات تتوزّع حولها، والمنتمي إلى هذه الجماعة يستخدم في معظم الأحيان مستويين لغويّين: أحدهما اللّغة الفصحى، والثّاني هو اللّغة المحكيّة»[1]

3 – الفرق بين اللّغة واللّهجة:

ما اللغة؟ وما اللّهجة؟ وكيف نميّز بين المصطلحين؟ هذا ما سنحاول الإشارة إليه لتجلية الفروق الجوهريّة بينهما، لأنّ للّغة فكرة وأسلوب، ولابدّ لصاحب الفكرة وناقلها من فطنة في الاستيعاب وبُعد في النّظر، وخوض إلى المعاني وحسن اختيار، وجمال في التّعبير عنها، واستهواء النّفوس إليها، وتنويع الأسلوب في الخطاب للسّامعين. واللّهجات واقع ومستوى لغويّ أدنى، واستعمال وظيفيّ تخفيف لابدّ منه، ولا تعمل على التّخلّف اللّغويّ مطلقاً، ولم نجد مشكلة اجتماعيّةً أدّت إلى خراب المجتمع من وجود اللّهجات. فالفرق – إذن – يكمن في السّياق الذي تستعمل فيه كلّ منهما، وعلى كلّ فاللّغة أعلى درجة من اللّهجة لأنّها حقل للتّعبير الأدبي والعلميّ وفي المناسبات الرّسميّة، بخلاف اللّهجة التي تستعمل في الحياة اليوميّة.

فاللّغة الفصحى الموجودة في الكتب الأدبيّة والعلميّة، وفي المقالات والصّحف والبحوث، وفي أحاديث وسائل الإعلام والنّشر، تختلف بالضّرورة عن اللّهجة و«اللّغة هي التي لها أدب؛ أي أنّ الأدب مقياس للتّفرقة، وهذا الزّعم مردود، فإنّ لهجات الزّنوج والهنود الحمر، ولهجات الأقوام المتمدّنة لها أدبها: شعرها ونثرها وقصصها وأمثالها وأساطيرها وأغانيها. وقد يختلف هذا الأدب في

[1] – النّادريّ، محمّد أسعد، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 2009، ص: 16.

غناه الرّوحيّ والعقليّ والجماليّ عن آداب الشّعوب التي خطت خطوات واسعة في عالم الفكر والفنّ والفلسفة والعلم، ولكنّ ذلك راجع لأثر الحضارة في الاجتماع»[1]

واللّغة هي التي يتعلّمها الأفراد في المدارس، أمّا اللّهجة يكتسبها من خلال محيطه وأفراد عائلته. أو هي اللّغة التي يتحدّث بها النّاس في حياتهم اليوميّة المعتادة، للتّعبير عن شؤونهم المختلفة. وعلى ضوء علم اللّغة لا فرق بين اللّغة واللّهجة، بدليل أنّ العرب كانوا ذوي لهجات متعدّدة، رغم فصاحتها، بل إنّهم كانوا يطلقون اللّغة على اللّهجة فيقال لغة هذيل، لغة حمير، لغة همذان، ... فالمقصود بها هنا أنّها لهجات، وليست لغات بمفهومنا المعاصر، لأنّ كلّا منها كان يمثّل صورة من صور العربيّة الفصحى، رغم الاختلاف في الإعراب والتّراكيب والصّيغ.

وقد ذكر القدماء أن العرب كانوا يتكلّمون لغة واحدة تجمع بينهم في حديثهم، سواء كانوا قحطانيّين أو عدنانيّين، وقد انقسمت فيما بعد إلى ما أسموه لغات، وهي تشير إلى لهجات القبائل، فتعرّضت «لتقسيمات فرعيّة تبعاً لتقسيم المتكلّمين بها إلى جماعات صغيرة، مع دخول الزّمن عاملاً أساسيًّا في هذا التّطوّر، ويعرف كلّ قسم فرعيّ في داخل اللّغة الواحدة باسم اللّهجة، ومن الملاحظ، في التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ، أنّ أيّة لغة نعرفها الآن قد بدأت حياتها كلهجة من لغة أخرى أقدم منها»[2]

وبناءً على ذلك «فكلّ لهجة هي لغة قائمة بذاتها، بنظامها الصّوتيّ، وبصرفها وبنحوها

[1] – أنيس فريحة، المرجع السّابق، ص: 77.

[2] – ظاظا حسن، اللّسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللّغة، سلسلة مكتبة الدّراسات اللّغويّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، ط2، 1990، ص: 122.

وبتركيبها وبمقدرتها على التّعبير»[1]، واللّهجة هي ما نسمّيه بكلمة العامّيّة، أي التي يستملها عامّة النّاس، بل إنّ بعض الباحثين يشيرون إلى التّأثير الاجتماعي في صور التّعبير العاميّ داخل البيئة الواحدة فـ «المجتمع الإنسانيّ بطبقاته المختلفة، يؤثّر في وجود اللّهجات، فالطّبقة الأرستقراطيّة مثلاً تتّخذ لهجة غير لهجة الطّبقة الوسطى أو الطّبقة الدّنيا من المجتمع، ويلتحق بذلك أيضاً ما نلحظه من اختلافات لهجيّة بين الطّبقات المهنيّة، إذ تنشأ لهجات تجاريّة وأخرى صناعيّة وثالثة زراعيّة وهكذا»[2].

وهذا ما عبّر عنه "فندريس" بالعامّيّات الخاصّة (les argots) فقد أشار إلى تعدّد اللّهجات داخل البيئة الواحدة بقوله: «صارت كلمة عامّيّة خاصّة (argot) في الأيّام الأخيرة مصطلحاً غامضاً ... ويوجد من العامّيّات الخاصّة بقدر ما يوجد من جماعات متخصّصة. والعامّيّة الخاصّة تتميّز بتنوّعها الذي لا يحدّ؛ وأنّها في تغيّر دائم تبعاً للظّروف والأمكنة. فكلّ جماعة خاصّة، وكلّ هيئة من أرباب المهن لها عامّيّتها الخاصّة»[3]

وهذا ما لا نجده في اللّغة، إذ يتكلّم بها جميع النّاس ضمن إطار جغرافيّ معيّن، بل قد يكون هذا الإطار منفصلاً عن بعضه البعض، كقولنا اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة، وهلمّ جراً، وبذلك تزول تلك الفوارق اللّهجيّة، لتفسح المجال للّغة كوسيلة للتّواصل بين أصحات اللّهجات

[1] – أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 77.

[2] – الرّاجحي عبده، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة، 1996، ص: 38.

[3] – فندريس، ج، اللّغة، تر: عبد الحميد الدّواخلي، محمّد القصّاص، المركز القوميّ للتّرجمة، القاهرة، العدد: 1889، 2014، ص: 315-316.

المتباعدة داخل اللّغة نفسها، أمّا فيما يخصّ اللّهجات المحلّيّة فـ: «قد أجريت بحوث في هذا الحقل أوضحت عوامل تفوّق لهجة على أخرى، وهي تعود في معظمها إلى الثّقافة والحضارة والنّفوذ والسّلطان وعدد النّاطقين ونحو ذلك، فإذا انفردت إحداها بمزيّة؛ بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة، أو ذات نفوذ سياسيّ أو تجاريّ أو دينيّ واسع، أو كثر عدد النّاطقين بها، فإنّ ذلك يدعو إلى تغلّبها على أختها أو أخواتها من اللّهجات الأخرى»[1]

وفي كلّ لغة طائفة من اللّهجات المحلّيّة التي تختلف بشكل نسبيّ، تبعاً للاختلاف المكاني، «فأطلس فرنسا اللّغويّ يعطينا عن كلّ حالة بعينها حدوداً مختلفة. ولنتخيّل عدداً من القرى، عشر قرى مثلاً، مفرّقة في إحدى المقاطعات الفرنسيّة في رقعة تتكوّن من بضعة أميال مربّعة، فنرى أنّ سكّان هذه القرى يتكلّمون لغة واحدة، بمعنى أنّ لهجتهم تمثّل مظهراً خاصًّا من اللّغة الفرنسيّة، وقد نتجت تاريخيًّا من تطوّر مستقلّ لنفس اللّغة في مجال متّصل. ولكنّا نجد فروقاً ذات بال بين قرية وأخرى»[2]

اعتماداً على ما سبق، يجدر بنا التّساؤل عن مدى قدرة لهجة محلّيّة ما أن تبسط سيطرتها على سائر اللّهجات، وهل يمكن أن ترقى إلى درجة لغة، قد تختلف اختلافاً جذريًّا عن باقي تلك اللّهجات، فكما أنّنا ننظر إلى اللّغة العربيّة والعبريّة والسّريانيّة والحبشيّة لغات، ولكنّ التّاريخ ينظر إليها أنّها لهجات تحدّرت من أمّ واحدة «ويظهر أنّ العرب القدماء في العصور الجاهليّة وصدر

[1] – هلال، عبد الغفّار حامد، مرجع سابق، ص: 73-74.

[2] – فندريس، مرجع سابق، ص: 310.

الإسلام لم يكونوا يعبّرون عمّا نسمّيه نحن "باللّغة" إلّا بكلمة "اللّسان"، تلك الكلمة المشتركة اللّفظ والمعنى في معظم اللّغات السّاميّة، شقيقات اللّغة العربيّة، وقد يستأنس لهذا الرّأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة اللّسان وحدها في معنى اللّغة نحو 8 مرّات»[1]

فاللّهجة هي ما كان يطلق عليه باللّغة، أو اللّسان، وقد أشرنا إلى ذلك، واللّهجات تتماير تبعاً للبيئات المختلفة، ومن تعاريف اللّهجة أنّها: «مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة»[2]،.

فصفاتها التي تتميّز بها تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفيّة صدورها، أمّا من حيث الأصل فهي تنتمي إلى لغة واحدة، فلهجات مثل "ثقيف"، و"حِمْيَر"، و"طيء"، و"تميم" و"تهامة" وغيرها كلّها ذات أصل واحد، هو العربيّة.

«والفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصّوتيّ في غالب الأحيان، فيروى لنا مثلاً أنّ قبيلة تميم كانوا يقولون في "فزت" "فزد"، كما يروى أنّ "الأجلح" وهو الأصلع ينطق بها "الأجله" عند بني سعد، وتشترك لهجات اللّغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها»[3]

فاللّغة واللّهجة ترتبطان بالصّوت، وإن كانت جهة الارتباط مختلفة. ويبدو أنّ القدماء من

[1] – إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 17.

[2] – أنيس إبراهيم، المرجع نفسه، ص: 15. والنّاديّ، محمّد أسعد، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، ص: 14.

[3] – القطّان منّاع، نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة وهبة، القاهرة، ص: 4. وعن الاختلاف الصّوتيّ بين اللّهجات العربيّة القديمة، يمكن الرّجوع إلى الكتب اللّغوية، كسيبويه وابن جنّي، وأبي حيّان والزّمخشريّ وغيرهم من علماء اللّغة والتّفسير والقراءات.

علماء العربيّة كانوا على طريق مستقيمة؛ حيث كانوا يطلقون اللّغة على اللّهجة؛ فقد سبق ما جاء في المصباح المنير. «لَغِيَ بِالْأَمْرِ يَلْغَى مِنْ بَابِ تَعِبَ: لَهِجَ بِهِ. وَيُقَالُ: اشْتِقَاقَ اللُّغَةَ مِنْ ذَلِكَ، فَفَسَّرَ اللَّغْوَ بِالْأَمْرِ بِاللَّهْجِ بِه»[1]، فَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تِلْكَ الصِّلَةِ بَيْنَهُمَا. ولم يزل أثر ذلك الاستعمال القديم موجوداً إلى اليوم على ألسنة العامّة عند المصريّين يقولون: فُلَانٌ لَغْوِتُه كِدَه" يقصدون لهجته.

نحن نعلم أنّ ما بين اللّهجة واللّغة هو ما بين الخاصّ والعامّ، أو ما بين الفرع والأصل «لكنّ العرب القدماء حيث كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللّهجة) على النّحو الذي نعرفه في الدّرس اللّغويّ الحديث، بل إنّهم لم يستعملوه قطّ في كتبهم، وغاية ما وجدناه عندهم ما تردّده معاجمهم من أنّ (اللّهجة) هي اللّسان أو طرفه، أو جرس الكلام، ولهجة فلان لغته التي جبل عليها فاعتادها، ونشأ عليها. وإنّما كانوا يطلقون على اللّهجة (لغة) أو (لغية)، وأصل ذلك راجع إلى أنّهم لم يتوفّروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كان يتكلّمها النّاس في حياتهم العاديّة، بل كلّ ملاحظاتهم إنّما تنصبّ على هذه الفروق اللّهجيّة التي دخلت الفصحى»[2].

وممّا نخلص إليه أنّ قضيّة التّفاهم لا يمكن أن تكون الفارق بين لهجة ولغة، ولا يمكن أن نفرّق بين اللّغة واللّهجة بشكل قاطع، والسّائد أن يكون فهم الرّموز بين من يتحدّثون عدّة

[1] – الفيّوميّ، أحمد بن محمّد بن عليّ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ، بيروت، دار الفكر، ص: 292.
[2] – عبده الرّاجحيّ، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص: 50.

لهجات هو ما يحدّد اللّغة الأصليّة لهذه اللّهجات. ونستطيع أن نقول إنّ اللّغة تتشكّل شيئاً فشيئاً انطلاقاً من اللّهجات؛ فعند تداول لهجة معيّنة على ألسن الجميع، يمكن أن تتحوّل في يوم ما إلى لغة بكلّ قواعدها. وذلك ما لاحظناه في اللّغة التي كانت لهجة قريش، وهي أعلى لهجة وأفصحها على جميع القبائل العربيّة. وبعد مدّة زمنيّة معيّنة تحوّلت إلى لغة فصحى على جميع العرب، وذلك بعد نزول القرآن الكريم وطوّرها أكثر.

4 – أسباب نشأة اللّهجات

أمّا مؤرّخو العرب قد أشاروا إلى اللّهجات العربيّة إشارات عابرة، لكنّهم لم يحاولوا الإجابة عن السّؤال: كيف نشأت؟ فقد تكلّم الكسائيّ تلميذ "الخليل" عن لحن العامّة (وله في الموضوع كتاب مخطوط)، وذكر الجاحظ كثيراً من النّوادر اللّغويّة التي تعكس لحن العامّة وعجمة بعض النّاس. وتكلّم ابن خلدون عن "فساد الكلمة"، و"لغة الأمصار"، وتكلّم غيره عن "لغات فاسدة"، وعن الرّطانة والعجمة، ومنهم من أشار إشارات دقيقة إلى لهجات وقرنوها بأسماء تميّزها: كشكشة أسد، وعنعنة تميم، وطمطمانيّة حمير، وجعجعة قضاعة، وفحفحة هذيل، وقطعة طيء، وغيرها كثير، ولكنّ أحداً من القدماء لم يدرسها[1].

ويذكر المؤرّخون للأدب العربيّ مختلف الآراء حول اللّغات (اللّهجات العربيّة)، وهل هي

[1] – ينظر، ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، خصوصاً الفصل الرّابع الخاصّ باللّغة العربيّة، من الصّفحة 104، فقد تناول الاختلافات اللّهجيّة بين القبائل العربيّة، مستشهداً بأمثلة مستقاة من كتب اللّغة والنّحو. من ذلك مثلاً ما ذكره ابن فارس في كتابه: الصّاحبيّ في فقه اللّغة: "اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها الاختلاف في الحركات ..."، وما نجده مبثوثا في الكتاب والخصائص.

صور عن العربيّة الفصحى أم أدنى منزلة منها: فـ «على الرّغم من شيوع لغة أدبيّة عامّة في العصر الجاهليّ، كانت هناك لهجات كثيرة تميّزت بها بعض القبائل، وظلّت آثارها واضحة على ألسنتها إلى القرن الثّاني للهجرة، فسجّلها اللّغويّون، غير أنّهم لم يعنوا غالباً بنسبة هذه اللّهجات إلى أصحابها، فقد كانت تهمّهم الصّحّة اللّغويّة من حيث هي، وكأنّهم يريدون التّنبيه على ما يخالف اللّغة الأدبيّة العامّة التي نزل بها القرآن الكريم»[1]

فهل يعقل أن يشير القدماء إلى كون اللّهجات انحطاطاً لغويًّا من اللّغة الفصحى، فليس هناك ما يثبت ذلك، إذ إنّ مختلف اللّهجات التي تكلّمت بها القبائل، هي صورة من صور الفصحى، وليست في مقام أدنى، وإلّا فبماذا نفسّر القراءات العشر للقرآن الكريم؟ ولا يمكن الأخذ بالرّأي القائل أنّ نشوء اللّهجات مردّه إلى خروج العربيّة من موطنها الأصليّ، واحتكاكها بلغات أخرى. ولو كان هذا فكيف نعلّل نشوء اللّهجات في البلاد العربيّة ذاتها، حيث ظلّت الفصحى على عزلتها؟[2]

وقد أشار أنيس فريحة أنّ «للّغة مجرى طبيعيًّا تسير فيه ... ولكنّ هذا لا يعني أنّه لن يطرأ تغيير ما، كلّا، بل يكون التّغيير حفيفاً وبطيئاً لا يظهر أثره في الحال، أمّا إذا انحلّ المجتمع إلى مجتمعات بسبب ضعف الرّوابط التي كانت تربطه سابقاً، أو بسبب فقدانها؛ فإنّ المجرى يميل إلى

[1] – ضيف شوقي، الأدب الجاهليّ، ص: 121.

[2] – ابن جنّي، الخصائص: ص: 221-226.

التّشعّب والانقسام، وعندها تظهر الفروقات اللّغويّة بسرعة ووضوح»[1]

بمعنى أنّ اللّغة لا يعتريها التّغيّر هكذا فجأة، بل يتطلّب ذلك فترة طويلة، تكون اللّغة فيه محافظة على صورتها الأولى بأصواتها وصرفها ونحوها، وذلك تبعاً لطبيعة المجتمع الذي يتكلّم بها، من حيث حفاظه على وحدته الثّقافيّة، وروابطه الرّوحيّة، وتتأثّر هذه اللّغة بعوامل تاريخيّة وجغرافيّة كالاختلاط والانقسام والاحتلال ...

ويرى "إبراهيم أنيس" من الصّعوبة تحديد الحقبة التي يتمّ خلالها تكوّن اللّهجة؛ إذ تمرّ اللّهجة بمرحلة من التّطوّر إلى أن تختصّ بسمات معيّنة تميّزها عن اللّغة الأمّ، وعن غيرها من اللّهجات، فليس من السّهل تحديد تاريخ هذه اللّهجة أو تلك إذا لم نقف على تاريخ اللّغة العربيّة، ولم نعرف شيئاً عن طفولتها في تلك الحقبة السّحيقة من الزّمن، حيث يصعب التّكهّن بما كانت عليه، فلم تصل إلينا نصوص مكتوبة تبيّن أحوال هذه اللّغة، بل ما وصل منها يمثّل مرحلة متطوّرة شملت أدب ما قبل الإسلام، وهو صورة متطوّرة للعربيّة الموحّدة، لا يرقى أقدم ما أثر عنه إلى قرن ونصف من الزّمن[2]

ومن هذه الأسباب التي كانت وراء نشأة اللّهجات العربيّة تبعاً للقبائل، وظهور اختلافات صوتيّة وصرفيّة ونحويّة فيما بينها، نذكر:

أوّلاً: جرّاء انعزال بعض القبائل وتمسّكها بنظم وتقاليد خاصّة انفردت بها دون غيرها ممّن

[1] - أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 89.

[2] – ينظر: علي ناصر غالب، لهجة أسد، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، الأعظميّة، بغداد، ط1، 1989، ص: 32.

جاورها من القبائل، ثمّ يأتي السّبب الثّاني في نشأة اللّهجات، وهو التّطوّر المستقلّ لكلام كلّ قبيلة؛ نتيجة هذا الانعزال، والذي تتناقله الأجيال وتتوارثه، حتّى تصبح اللّهجة صفات مستقلّة تنسب إلى هذه القبيلة، وتعرف بها. وممّا يدعم كلامنا هذا ويقوّيه قول إبراهيم أنيس:

«إنّ أقدم ما نستطيع تصوّره في شأن شبه الجزيرة العربيّة، هو أن نتخيّلها وقد انتظمتها لهجات محلّيّة كثيرة، واستقلّ كلّ منها بصفات خاصّة، ثمّ كانت تلك الظّروف التي هيّأت لبيئة معيّنة في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها، ثمّ ازدهارها، والتّغلّب على اللّهجات الأخرى»[1]

ونفهم من كلّ هذا أنّ هناك عوامل مختلفة سبّبت نشأة اللّهجات، نذكر منها:

4 –1 – أسباب جغرافيّة: في نظر مجدي إبراهيم محمّد إبر اهيم –كلّما اتّسعت البيئة الجغرافيّة، واختلفت الطّبيعة فيها من مكان لآخر، كأن تكون هناك جبال وأنهار ووديان، أدّى ذلك إلى تباين اللّهجة بسبب انعزال مجموعة مجموعة من النّاس عن مجموعة أخرى، وبالتّالي يؤدّي هذا – مع الزّمن – إلى وجود لهجة تختلف عن غيرها ممّن تنتمي إلى نفس اللّهجة.[2]

فحين نتصوّر لغة من اللّغات قد اتّسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافيّة، أو اجتماعيّة، نستطيع الحكم على إمكان تشعّب هذه اللّغة الواحدة إلى لهجات عدّة بين بيئات اللّغة الواحدة، ويترتّب على هذا التّشعّب قلّة فرص احتكاك أبناء الشّعب الواحد بعضهم ببعض، أو انفرادهم بعضهم عن بعض، ويتبع هذا أن تتكوّن مجامع صغيرة من اللّهجات

[1] – مجدي إبراهيم، اللّهجات العربيّة – دراسة وصفيّة تحليليّة في الممنوع من الصّرف، ص: 17.

[2] – المرجع نفسه، ص: 17.

اللّغويّة المنعزلة، التي لا تلبث – بعد مرور قرن أو قرنين – أن تتطوّر تطوّراً مستقلاً يباعد بين صفاتها، ويشعّبها إلى لهجات متميّزة، إذ لابدّ من تطوّر الكلام وتغيّره على مرّ الزّمن، ولكنّ الطّريق التي يسلكها الكلام في هذا التّطوّر تختلف من بيئة إلى أخرى، لأنّ ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة.[1]

4 – 2 – أسباب اجتماعيّة: «إن لكلّ طبقة من طبقات المجتمع لهجة معيّنة، بمعنى أنّه كلّما تعدّدت هذه الطّبقات والجماعات اختلفت اللّهجات، فمثلاً تتّخذ لهجة الطّبقة العليا غير لهجة الطّبقة الوسطى، أو الطّبقة الدّنيا في المجتمع؛ فلهجة المثقّفين غير لهجة أصحاب المهن والحرف المختلفة.»[2]

فالبيئات المنعزلة تحتكم إلى جملة من الظّروف الاجتماعيّة، وهذا ما ينجم عن تباين لهجات؛ فمن بين هذه البيئات المنعزلة ما تتّخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً خاصًّا ونظاماً خاصًّا، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصّة، أو تتّصف بطبيعة خاصّة في تربتها تصلح لنوع خاصّ من الزّراعة أو الصّناعة.

«فأبناء البيئات الزّراعيّة لهم من الظّروف الاجتماعيّة ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصّناعيّة أو التّجاريّة ... وكما أنّ هناك اختلافاً بين الظّروف الاجتماعيّة في البيئات المنعزلة من الأمّة الواحدة، هناك عوامل اشتراك بينها جميعاً، قد ترجع إلى رابطة سياسيّة أو نعرة قوميّة، أو

[1] – ينظر: إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 21-22.

[2] – مجدي ابراهيم محمّد ابراهيم، اللّهجات العربيّة، ص: 18.

اتّجاه خاصّ في التّفكير».[1]

4 – 3 – أسباب فرديّة: يرى "مجدي إبراهيم" أنّ اللّغة – وإن كانت واحدة – فهي متعدّدة بتعدّد الأفراد الذين يتكلّمونها، ومن المسلّم به أن لا يتكلّم شخصان بصورة واحدة، بل لكلّ شخص نبرته الخاصّة.

«فقد أثبت لنا علم اللّغة أنّ لكلّ إنسان لهجته الخاصّة، وهذه أوّل مفاجأة يفاجئنا بها علماء اللّغة؛ يقولون لنا إنّ المجتمع الذي يتكلّم أفراده لغة واحدة لا وجود له»[2].

وهذا لا يعني أنّ الاختلاف يكون في تركيبة الكلام أو العبارات، أو النحو والتّصريف، بل يكون الاختلاف محصوراً في نبرة الكلام التي يتميّز بها كلّ فردٍ عن غيره، ومن أمثلة ذلك أنّا نستطيع تمييز قارئ القرآن عن غيره من القرّاء، في المسجّلة أو الرّاديو، من خلال تعوّدنا على أصواتهم.

«ولكنّها فروق لا تستطيع الأذن تمييزها ... وإذا أصررت في المعاندة أدخلوك إلى غرفة مظلمة، وطلبوا من صديقين لك، لا علم لك بوجودهما هناك، أن يتكلّما، فإنّك تعرف حالاً صاحب الصّوت هذا هو فلان، وصاحب الصّوت ذاك هو فلان، فإنّ هناك تبايناً ظاهراً في اللّفظ، وفي الشّدّة واللّين والنّبرة والنّغم، وربّما في انتقاء المفردات، وفي تركيب العبارات».[3]

[1] – إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 22.

[2] - أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 86.

[3] – المرجع نفسه، ص: 86-87.

4 – 4 – احتكاك اللّغات واختلاطها ببعضها: نتيجة غزو قبيلة لقبيلة أخرى، أو هجرة من مكان إلى آخر، أو تجاوز قبيلة لأخرى، وبالتّالي يؤدّي إلى اختلاف اللّهجات وتعدّدها، أي تشعّب اللّغة الواحدة إلى لهجات مختلفة[1]،

«واحتكاك اللّغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة، باللّغات المغزوّة التي تشمل على لهجات أيضاً، يولّد لنا أنواعاً جديدة من اللّهجات، فنحن حين نستعرض اللّهجات العربيّة الحديثة، نراها قد اتّخذت من مصر شكلاً من الأشكال يبيّن ذلك الذي اتّخذته في العراق أو الشّام أو بلاد المغرب».[2]

4 – 5 – الصّراع اللّغويّ: وهذا الصّراع يعدّ من أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى نشأة اللّهجات، ويكون عادة: «نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشّعوب أرضاً يتكلّم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللّغتين الغازية والمغزوّة، فقد غزا الغرب جهات كثيرة متعدّدة اللّغات واستطاعت اللّغة العربيّة آخر الأمر أن تصرع تلك اللّغات في مهدها، وأن تحلّ محلّها، فقد تغلّبت على الآراميّة في العراق والشّام، وعلى القبطيّة في مصر، والبربريّة في بلاد المغرب، والفارسيّة في بعض بقاع مملكة فارس القديمة»[3].

وأفضل مثال على هذا احتكاك العربيّة بالآراميّة والإيرانيّة أنّ أشقّاءنا السّوريّين، يتكلّمون بمفردات هي في الأصل من لغات متعدّدة، منها العربيّة والآراميّة، وحتّى السّريانية «وقد كان

[1] – ينظر: مجدي ابراهيم محمّد ابراهيم، اللّهجات العربيّة، ص: 18.

[2] – إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص: 25.

[3] – إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص: 23.

احتكاك العرب الثّقافيّ بأهل سوريا القدماء، يظهر ذلك في كثير من المفردات الثّقافيّة والزّراعيّة والدّينيّة التي هي في الأصل سريانيّة»[1]. فكان من الطّبيعيّ أن يعتري العربيّة المحكيّة تغيير كبير في الأصوات والتّراكيب والتّعابير، سواء كان المتكلّمون من العرب أم من أصل البلاد أثر السّريانيّة ظاهرة في العربيّة سوريا ولبنان المحكيّة، وهذا أمر طبيعيّ، فعندما يقول اللّبنانيّ أو السّوريّ أو العراقيّ: "شفتو لأخوك أو لخيّك" فإنّهم يتكلّمون لهجة مفرادتها عربيّة، ولكنّ تراكيبها سريانيّة فصيحة. هكذا يجب أن يقال في السنّ ريانيّة، وهذا ما يسمّيه علماء اللّغة نماذج لغويّة.

4 – 6 – الاتّصال البشريّ وآثاره: الإنسان مدنيّ بطبعه –كما يقول علماء الاجتماع –فهو في حاجة إلى مساعدة أخيه الإنسان، ولذلك فقد يتّصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أنّ الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصليّ إلى مكان آخر بحثاً عن القوت أو لأسباب أخرى دينيّة أو استعماريّة.

«فالتّوسّع وضرورة الاتّصال يقتضي معرفة لغات عدّة معرفة جيّدة، بما يخلق اختلالاً في الأداء، فكثيراً ما لوحظ أنّ تطوّر اللّغات يزداد بسرعة بازدياد انتشارها في الخارج ... إذ إنّ انتشارها في أقاليم تحتكّ فيها بلغات أخرى يعرضها؛ لأنّ تفتقد خصائصها الموغلة في الذّاتيّة أو التّأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدّي بها إلى التّغيير السّريع»[2].

وبناءً على هذه الأسباب نلمح عاملين رئيسيّين أدّيا إلى نشأة اللّهجات، وهما: انعزال بين

[1] – أنيس فريحة، مرجع سابق، ص: 89.

[2] – عبد الغفّار حامد هلال، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، ص: 43.

بيئات الشّعب الواحد، والصّراع اللّغويّ نتيجة غزو أو هجرات، فانعزال البيئات عن بعضها البعض يؤدّي إلى نشأة اللّهجات، كذلك عندما يكون الغزو على بيئة معيّنة تتولّد ألفاظ جديدة إلى جانب البيئة المغزوّة، وبالتّالي تتكوّن لهجة أخرى إلى جانب الأولى.

5 – أنواع اللّهجات العربيّة

لقد انقسمت اللّهجات العربيّة القديمة إلى عربيّة بائدة؛ وتضمّ اللّهجات العربيّة الجنوبي"ة، وبعض اللّهجات العربيّة الشّماليّة، وعربيّة باقية؛ وهي التي نظمت فيها قصائد الجاهليّين، ونزل بها القرآن الكريم، والتي مازلنا نستعملها حتّى يومنا الحاضر، وعلى أساس تلك النّتيجة، سندرس العربيّة البائدة والعربيّة الباقية، كلًّا على حدة.

أوّلاً: اللّهجة العربيّة البائدة:

يطلق هذا المصطلح على لهجات عدد من القبائل العربيّة التي كانت تسكن شمال الحجاز، على مقربة من حدود الآراميّين، وقد بادت هذه اللّهجة قبل ظهور الإسلام، وقد يسمّيها المستشرقون العربيّة الأولى؛ لأنّ نقوشها سبقت الآثار الرّسميّة التي وصلت إلينا من العربيّة الفصحى: «وتسمّى أيضاً "عربيّة النّقوش"؛ لأنّها لم تصل إلينا إلّا عن طريق نقوش عثر عليها مؤخّراً في ساحة واسعة من الأرض، تمتدّ من دمشق إلى منطقة العلا (شماليّ الحجاز). وقد ظهر من هذه النّقوش أنّ لهجات العربيّة الجنوبيّة البائدة صبغت بالحضارة الآراميّة، فاستعملت حرفاً

قريباً من الخطّ المسند، ودوّنت تاريخها بتاريخ بصرى»[1]

ومن هذه اللّهجات:

أ) الثّموديّة: ذكر القرآن الكريم – في سورة الأعراف – ثمود كمثل على شعب مات لأنّه لم يتقبّل رسالة نبيّه صالح – عليه السّلام –، وقد أطلقت كلمة (ثمود) على عشرات الآلاف من النّصوص القصيرة المكتوبة بخطّ مشتقّ من الخطّ العربيّ الجنوبيّ «فقد عثر على حوالي ألفي نقش من هذه اللّهجة، معظمها في الحجاز ونَجْد، في حين عثر على بعضها في الصّفاة (شرقيّ دمشق) وسيناء»[2]

ب) الصّفويّة: وجدت هذه النّقوش في المنطقة الواقعة بين جبل الدّروز في لبنان، وتلال أرض الصّفاة الواقعة جنوب شرق دمشق. «والخطّ الصّفويّ شديد الشّبه بالخطّ الثّموديّ، حتّى أنّ بعض الدّارسين يقسّمون تطوّر الخطّ الصّفويّ إلى مرحلتين اثنتين، ويعتبرون أنّ المرحلة الأولى هي امتداد للخطّ الثّموديّ، في حين يرون أنّ الخطّ الصّفويّ الخالص لا يظهر إلّا في المرحلة الثّانية، ويرقى معظم هذه النّقوش إلى القرنين الأوّل والثّاني الميلاديّين»[3]

ج) اللّحيانيّة: وهي نقوش تنسب إلى قبائل لحيان، ولم يثبت تاريخ هذه النّقوش، حتّى الآن، ولكن يبدو أنّ أقدمها يرجع إلى ما بين القرن الرّابع والثّاني قبل الميلاد، وأحدثها لا يتجاوز القرن

[1] – إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1982، ص: 118.
[2] – المرجع نفسه، ص: 119.
[3] – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

السّادس بعد الميلاد، «يرجّح أنّها كانت تسكن منطقة العلا شمال الحجاز، ومعظم النّقوش اللّحيانيّة المكتشفة، يرجع إلى ما بين السّنة 400 والسّنة 200 ق.م»[1]

وحسب الدّراسات التي أجريت على النّقوش الثّموديّة والصّفويّة واللّحيانيّة المكتشفة، أنّ هذه اللّهجات أقرب لهجات العربيّة البائدة إلى العربيّة الفصحى، وأنّ خطوطها قريبة من الخطّ المسند، أو مشتقّة منه.

ثانياً: اللّهجة العربيّة الباقية:

يراد به عربيّة التّراث، تلك اللّغة العربيّة التي وردت إلينا ممثّلة في الشّعر الجاهليّ، والأمثال العربيّة القديمة، وما روي عن خطباء العرب وكهّانهم في الفترة التي سبقت بعثة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – «وإذا بحثنا عن أوّليّة العربيّة الباقية، فلن نستطيع الوقوف عليها ... وكلّ ما نعرفه أنّه توافرت لدينا نصوص أدبيّة –شعراً ونثراً –متكاملة القواعد والنّظام اللّغويّ، وهذا يعبّر عن لغة بلغت شأوها من النّضج والقوّة، لكنّه لا يرشد إلى فترة طفولة اللّغة أيّام كانت ساذجة ضعيفة، غير مهذّبة القواعد والتّركيب»[2]

كما تشمل أيضاً نصوص القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، وأقوال الصّحابة وخطبهم ووصاياهم، وتمتدّ مرحلة هذه العربيّة حتّى نهاية القرن الثّامن الهجريّ.

«والواقع أنّ الإسلام صادف – حين ظهوره –لغة مثاليّة مصطفاة موحّدة ... فزاد من

[1] – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[2] – عبد الغفّار، حامد هلال، مرجع سابق، ص 63-64.

شمول تلك الوحدة وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربيّ مبين، هو ذلك اللّسان المثاليّ المصطفى، وكان تحدّيه لخاصّة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله، أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللّغويّة، على حين دعا العامّة إلى تدبّر آياته وفقهها وفهمها»[1]

فالوحدة اللّغويّة التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقوّاها القرآن بعد نزوله، لا تنفي ظاهرة تعدّد اللّهجات عمليًّا قبل الإسلام، وبقاءها بعده؛ فعامّة العرب كانوا إذا عادوا إلى منطقهم لا يتحدّثون بتلك اللّغة المثاليّة الموحّدة، بل كانوا يعبّرون بلهجاتهم الخاصّة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم، وخصائص ألحانهم.

يقول ابن هشام: «كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلّ يتكلّم على مقتضى سجيّته التي فطر عليها، ومن هنا كثرت الرّوايات في بعض الأبيات»[2]

6 – نظرة بعض اللّغويّين إلى اللّهجات

1 – القدماء

اختلفت نظرة القدماء إلى اللّهجات العربيّة باختلاف العصور والعوامل السّياسيّة والاجتماعيّة، ويكادون يتّفقون على أنّ لهجة قريش هي أعلى اللّهجات العربيّة وأفصحها، وهي التي سادت شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، «فقبل الإسلام استمسكت كلّ قبيلة بصفاتها الكلاميّة في حديثها العاديّ، وفي لهجات التّخاطب، ولكنّ الخاصّة من النّاس في تلك القبائل، قد

[1] – صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، ص: 59.

[2] –المرجع نفسه، ص: 60.

لجأوا إلى تلك اللّغة النّموذجيّة التي نشأت في مكّة في شؤونهم الجدّيّة، يخطبون بها، ينظمون الشّعر. وهذه حال كانت مألوفة بين القبائل، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهليّة عن السّخريّة بصفات كلاميّة لقبيلة من القبائل أو القدح فيها»[1]

وممّا أجمع علماؤنا العرب أنّ قريشاً هي أفصح العرب ألسنة، وأنّها اكتسبت التّمجيد عندهم لسبب واحد وهو أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قرشيّ.

أ – ابن فارس

عقد ابن فارس في كتابه فصلاً سمّاه باب "القول في أفصح العرب" ذكر فيه ما يلي: «أجمع علماؤنا بكلام العرب والرّواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيّامهم ومحلّهم، أنّ قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله – جلّ ثناؤه – اختارهم من جميع العرب واصطفاهم ... وكانت قريش – مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها – إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»[2]

ب – السّيوطيّ

ويدلي السّيوطيّ بدلوه هو الآخر؛ أنّ قريشاً هي أفصح العرب لساناً، إذ ينقل عن أبي نصر الفارابيّ في كتابه "الألفاظ والحروف قوله: «كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ

[1] – محمّد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ط1، 1417- 1996، جامعة الأزهر، ص: 105.

[2] – ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة، ص: 28.

وأسهلها على اللّسان عند النّطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النّفس»[1].

وينقل في المزهر عن ثعلب قوله: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوزان، وتضجع قيس وعجرفيّة ضبّة»[2]

ثمّ نأتي إلى شيء آخر يتّصل بلغة قريش، فنجد اللّغويّين قد أجمعوا على أنّ لغة قريش أفصح اللّغات في قول الفرّاء: «كانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكّة للحجّ، ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها، ورقّة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروه من تلك اللّغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»[3]

فهذه النّصوص لا تختلف في كتب العربيّة – على كثرتها – فقد وضّحت لنا موقف القدماء وحكمهم، ممّا جعلهم يضعون لهجة قريش من أفصح الألسنة، وذلك أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قرشيّ. ومن هنا قالوا مقولتهم المشهورة، ومن أنّ القرآن نزل بلغة قريش، والحديث في رأيهم واضح، ولعلّ ما يؤيّد رأيهم من وضوح الحديث، قوله – صلّى الله عليه وسلّم – "أنا أفصح العرب، بيد أنّي من قريش"، ففي معنى (بيد أنّ هو غير أنّ) ما روى لي عمر أنّه

[1] – السّيوطيّ، جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمّد أحمد جاد المولى – علي محمد البجاوي – محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1986، ج1، ص: 211.

[2] – المصدر نفسه، ص: 211.

[3] – المصدر نفسه، ص: 210.

قال: "يا رسول الله، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا»[1].

فالرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – هنا قد أدرك أنّ لغة قريش ليست أوضح اللّغات، لذلك أضاف في قوله: "بيد أنّي من قريش"[2].

ثانيا: المحدثون

في الطّريق ذاتها التي سلكها القدماء، سار الدّارسون المحدثون يجعلون من لهجة قريش المستوى الأعلى الذي انتهت إليه العربيّة، وهم في ترديدهم لرأي القدماء لم ينتهجوا النّهج العلميّ الصّحيح في الحكم على اللّغات.

وبعد استعراضنا لأهمّ الصّور التي رويت بها اللّهجات، سنحاول أن نقف على آراء اللّغويّين المحدثين، من خلال ما تطرّقوا إليه في دراساتهم، وذكر الباحث أنّ المحدثين ساروا على نهج القدماء في تمجيد لغة قريش وعدّد منهم الرّافعيّ طه حسين، الذي يقول عنه: «وعجيب حقًّا أنّ طه حسين، الذي تناول الأدب الجاهليّ بالشّكّ، وأخذ يهدمه هدماً، لم يختلف رأيه في هذا الموضوع عن رأي القدماء»[3]

أ – الرّافعيّ: يقرّ الرّافعيّ أنّ العربيّة مرّت بثلاثة أدوار «عمل قريش وحدها، وهي القبيلة الأخيرة في تاريخ الفصاحة، بعد أن كان الثّاني، عمل القبائل جميعاً، وكان الأوّل عمل القبيلة

[1] – السّيوطيّ، المزهر، ص: 126.

[2] – إبراهيم السّامرّائيّ، في اللّهجات العربيّة القديمة، دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1994، ص: 11.

[3] – محمّد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ص: 103.

الأولى، فتكون اللّغة قد أحكمت على أدوار التّاريخ الاجتماعيّ كلّ الإحكام ... وكانت تلك القبائل بطبائعها متباينة اللّهجات، مختلفة الأقيسة المنطقيّة في غرائزها، فكان قريش يسمعون لغاتهم، ويأخذون ما استحسنوه منها، فيديرون به ألسنتهم، ويجرون على قياسه»[1]

ب – طه حسين

لقد تناول طه حسين الأدب الجاهليّ بالشّكّ، وأخذ يهدمه هدماً، ولم يختلف رأيه في هذا الموضوع عن رأي القدماء، فهو يقول:

«فالمسألة – إذن – هي أن تعلم أسادت لغة لقريش ولهجتها في البلاد العربيّة، وأخضعت العرب لسلطانها في الشّعر والنّثر قبل الإسلام وبعده؟ أمّا نحن فنتوسّط ونقول: إنّها سادت قبيل الإسلام حين عظُم شأن قريش، وحين أخذت مكّة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلّة، مقاوِمة للسّياسة الأجنبيّة التي كانت تتسلّط على أطراف البلاد العربيّة»[2]

فالكاتب يشير إلى أنّ لهجة قريش سادت في فترة قصيرة قبل نزول الوحي، حين أصبحت مكّة ذات سيادة دينيّة بفعل وجود الكعبة المشرّفة، والتي كان يؤمّها الحجّاج من كلّ حدب وصوب. «ولكنّ سيادة لغة قريش قبيل الإسلام لم تكن شيئاً يذكر، ولم تكد تتجاوز الحجاز، فلمّا جاء الإسلام عمّت هذه السّيادة وسار سلطان اللّغة واللّهجة مع السّلطان الدّينيّ والسّياسيّ

[1] – الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000، ص: 75.

[2] – حسين طه، في الشّعر الجاهليّ، دار المعارف للطّباعة والنّشر، سوسة، تونس، د.ط، د.ت، ص: 49-50.

جنباً إلى جنب»[1].

ولعلّ الأسواق لعبت دورا هاما في تغليب لهجة قريش على غيرها من اللهجات، منها "سوق عكاظ"، إضافة إلى رحلتي الشّتاء والصّيف، فـ «لغة قريش، إذن، في هذه اللّغة العربيّة الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السّيف، وإنّما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدّينيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، وكانت هذه الأسواق التي يشار إليها في كتب الأدب، كما كان الحجّ وسيلة من وسائل السّيادة للغة قريش»[2]

ث – إبراهيم أنيس

كما أنّ إبراهيم أنيس الذي بحث في دلالة الألفاظ ودرس اللّهجات والأصوات فقد قدّم كلاماً لا يختلف عن سابقيه فيما يتعلّق بانتشار لهجة قريش في أنحاء الجزيرة العربيّة، من خلال البيئة التي نشأت فيها، والتي ساعدت على هذا الانتشار وتلك السّيادة، حين قال: «وهكذا نرى أنّ بيئة مكّة قد هيّئت لها ظروف وفرص، بعضها دينيّ، وبعضها اقتصاديّ واجتماعيّ، ممّا ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلّعت إليه القبائل، وشدّت إليه الرّحال قروناً عدّة قبل الإسلام، فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسّست، في كثير من صفاتها، على لهجة مكّة»[3]

فلقد اختلفت النّظرة إلى اللّهجات العربيّة باختلاف العصور والعوامل السّياسية في كلّ

[1] – المرجع نفسه، ص: 50.

[2] – عبده الرّاجحيّ، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص: 45.

[3] – عبده الرّاجحيّ، مرجع سابق، ص: 46.

منها؛ فقبل الإسلام، تمسّكت كلّ قبيلة بصفاتها الكلاميّة في حديثها العاديّ، وفي لهجات التّخاطب، ولكنّ الخاصّة من النّاس في تلك الفترة قد لجؤوا إلى تلك اللّغة النّموذجيّة، التي نشأت في مكّة، في شؤونهم الجدّيّة، يخطبون بها وينظمون الشّعر، وينفرون من صفات اللّهجات في مثل هذا المجال، حتّى إذا عادوا إلى بيئتهم، تحدّثوا إلى النّاس في الشّؤون العامّة بمثل لهجتهم، لئلّا تنفر منهم النّفوس. فبعد أن جاء الإسلام وأراد أن تتألّف قلوب العامّة والخاصّة معاً، سمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصّفات التي لم يكن في مقدور العامّة غيرها.

ت – شوقي ضيف

وكذلك يرى "شوقي ضيف" أنّ لهجة قريش هي عين العربيّة الفصحى، وهي التي انتهى إليها السّيادة والانتشار. وقد نقل كلاماً شبيها بما ورد لدى السّيوطيّ، ممّا يشير إلى تأييده لسيادة اللّهجة القرشيّة، وقد أفرد عنواناً تحدّث فيه عن ذلك منه قوله: «فنحن لا نعدو الواقع إذا قلنا إنّ لهجة قريش هي الفصحى التي عمّت وسادت في الجاهليّة لا في الحجاز فحسب، بل في كلّ القبائل العربيّة شمالاً وغرباً وشرقاً، وفي اليمامة والبحرين، وسقطت إلى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمْير واليمن وخاصّة في أطرافها الشّماليّة حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبني الحارث بن كعب في نجران»[1]

أمّا "عبد الصّبور شاهين"، فيرى أنّ اللّهجات العربيّة لم تدوّن، ولم يعن بتفصيلاتها، وكان الاهتمام باللّغة المشتركة وتسجيل أشعار العرب سبباً في إهمال اللّهجات، والتّرفّع عن الاهتمام

[1] – ضيف شوقي، الأدب الجاهليّ، ص: 134.

بأمرها، على أهمّيّته، وما روي لا يمكن أن يصنع تأريخاً للّغة، أو يصوغ فكرة متكاملة[1]

وذهب "عبد الرّحمن أيّوب" إلى أنّ علماء اللّغة والنّحو نظروا إلى اللّهجات كما لو كانت أمراً مستقبحاً ينبغي تجنّبه، وأضاف: «ومن هنا لم يكن يهمّهم كثيراً أن يتحرّوا الدّقّة في نسبة لفظة ما إلى قبيلة أو أخرى، بل كان همّهم أن يؤكّدوا أنّه ليس من العربيّة الفصحى»[2]

فنظرة اللّغويّين والنّحويّين المحدثين إلى اللّهجات قد وردت لهم فيها أحكام متباينة، نلمس من خلالها أنّهم لم يغفلوا الخلافات بين اللّهجات في المجالات الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحوية والدّلاليّة، ويمكن أن نجمل نظرتهم تلك في ثلاث مواقف[3]:

الموقف الأوّل: وهو أن يذكر اللّغويّ أو النّحويّ لهجات عدّة دون أن يفضّل إحداهما على الأخرى.

الموقف الثّاني: موقف المفاضلة بين اللّهجات: وفيه يذكر اللّغويّون اللّهجتين، ثمّ يفاضلون بينهما.

الموقف الثّالث: الحكم برداءة اللّهجات: لقد وصفت طائفة من اللّغويّين والنّحويّين ظواهر لهجيّة عدّة بأنّها رديئة وقبيحة، وغير ذلك من الأوصاف.

[1] – ينظر: لهجة قبيلة أسد، ص: 41.

[2] – المرجع نفسه، ص: 41.

[3] – لهجة قبيلة أسد، ص: 41-42-43.

7 – القراءات وصِلتها باللّهجات

نشأت الدّراسات العربيّة – بفروعها المختلفة – متعلّقة بالقرآن الكريم، كتاب الله العزيز، فكأنّ القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدّراسات المختلفة، سواء منها تلك الدّراسات التي تتعلّق تعلّقاً مباشراً بتفسير القرآن، وتوضيح آياته، وتبيين معناه، واستنباط أحكام الشّريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها بالبحث في دلالة اللّفظ، واشتقاق الصّيغ، وتركيب الجمل، والأسلوب والصّور الكلاميّة، واختلافها باختلاف المقام، حتّى تلك الدّراسات التي تتعلّق بالرّسم الإملائيّ، والفلك، والرّياضة، واستكناه أسرار الطّبيعة، كلّ هذه الدّراسات قامت أساساً لخدمة الدّين الإسلاميّ ودستور المسلمين.

«فقد اهتمّ المسلمون – منذ ظهور الدّين الإسلاميّ – بالحفاظ على القرآن الكريم ولغته؛ خوف التّحريف والتّغيير، حتّى لا تنبهم معانيه على أهله، وكان ذلك بدافع دينيّ، فقد نزل القرآن الكريم على الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – دستوراً للأمّة الإسلاميّة، لقراءته واتّباع ما جاء في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق ... ما لم يعلم﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به ..... بيانه﴾[2]»[3]، والمطلوب من المسلم ترتيل القرآن الكريم éورتل القرآن ترتيلا" "قرآناً عربيًّا غير ذي عوج"، وهذا يعني إتقان النّطق الصّحيح لحروف مفردة ومركّبة، والتّحرّي والدّقّة في النّطق لهما أهمّيّة في صيانة القرآن الكريم

[1] – العلق: 1-5.

[2] – القيامة: 16-19.

[3] – عبد الغفّار، حامد هلال، اللّهجات العربيّة، نشأة وتطوّراً، ص 393.

وحفظه على مرّ الأيّام لتتحقّق نبوءة القرآن الكريم بحفظه، "إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون"، وهذا الإتقان في النّطق يبعد المسلم عن اللّحن، والتّحريف، وذلك لا يكون إلّا بالتّلقّي والمشافهة، والتّدرّب والرّياضة وفق قواعد مرسومة متلقّاة – بصفة خاصّة – عن أئمّة القراءة المتّصلة بالرّسول – صلّى الله عليه وسلّم –

ولم تصر العربيّة لغة عالميّة حقًّا، إلّا بسبب القرآن والإسلام، إذ أجهد العلماء أنفسهم في دراستها واستكناه أسرارها، ليقفوا على مواطن الإعجاز في كتاب الله العزيز «فقد اتّصل الدّين باللّغة اتّصالاً وثيقاً في العصور الإسلاميّة كلّها، وكان الباعث على اهتمام علماء اللّغة، بجمع الشّواهد اللّغويّة، وتقعيد اللّغة، باعثاً دينيًّا، هو ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطّلاب لغة القرآن ... ومن ثمّ كان اللّغويّ غالباً رجل دين ولا نرى عالماً من علماء اللّغة القدامى إلّا كان مقرئاً، أو مفسّراً، أو محدّثاً، أو متكلّماً، أو فقيهاً.»[1]

وقد لمس العلماء ذلك منذ الصّدر الأوّل للإسلام، فوضعوا الضّوابط والقواعد لقراءته وتحديد نطقه تحديداً سليماً، فيعطى كلّ حرف حقّه في مخرجه وصفته، سواء كان مفرداً أو مركّباً مع غيره «فلو نطق ناطق (الحمد للّه) بقلب الحاء عيناً، أو نطق (الدّين) بإبدال الدّال تاءً، أو (المغضوب عليهم) بتحويل الغين إلى خاء، كان ذلك لحناً صراحاً، وعدّت قراءته باطلة، ومعنى هذا أنّ عدم إعطاء (الحاء) و(الدّال) و(الغين) حقوقها الصّوتيّة بنطقها وفق مخارجها، كلّ ذلك

[1] – عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه اللّغة، ص: 108.

لحن لا شكّ فيه»[1]

من هنا قام علم التّجويد والقراءات، واهتمّ بوصف مخارج الحروف حرفاً حرفاً، وحدّدها بدقّة في قواعد ترشد النّاطق إلى طريقة نطق الأصوات العربيّة في القرآن الكريم كما حدّدها هذا العلم صفات الحروف، وعرفت أنواعها من جهر وهمس ورخاوة وشدّة، وتوسّط وانفتاح واستعلاء.

«وتخلّصت العرب من الحروف المستقبحة التي كانت تستعمل عند بعض القبائل، وتخلّصت منها العربيّة النّموذجيّة، بفضل تهذيبها، ونزول القرآن الكريم بها، ومن ذلك:

الباء التي كالميم: في لهجات مازن، وهي في قولهم: بَا اسمك؟ ما اسمك؟

والجيم التي كالكاف: وكانت شائعة في اليمن، وهي موجودة بكثرة عند أهل البحرين، مثل رجل وجمل، ركل وكمل»[2].

وفي حديث البخاريّ أنّ عمر بن الخطّاب قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، فكدت أساوره في الصّلاة، فتصبّرت حتّى سلّم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السّورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقلت كذبت، فإنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقلت:

[1] – عبد الغفّار، حامد هلال، اللّهجات العربيّة، نشأة وتطوّراً، ص 394.

[2] – المرجع نفسه، ص 394-395 .

إنّي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم -: كذلك أنزلت، ثمّ قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: كذلك أنزلت، إنّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف»[1]

وأصل الاختلاف ما أنزل على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – من الأحرف السّبعة، فكان يقرئ أصحابه بهذه الأحرف، فيذهب كلّ واحد منهم وقد قرأ على الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – ما لم يقرأه الآخر فيروي كلّ منهم ما تلقّاه، ويقؤئ غيره بما سمعه، فإذا نقل الرّواة عنهم ذلك نقلوا وجوهاً من القراءات مختلفة، وهي كلّها ممّا نزل على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأقرأ بها. وقد تواتر الخبر عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بأنّ القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف. روى ذلك من الصّحابة – رضوان الله عليهم – ما يقرب من اثنين وعشرين صحابيًّا، سواء أكان مباشرة أم بواسطة.

«وفي رواية عن عمرو بن العاص أنّ رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو: "إنّما هي كذا وكذا"، بغير ما قرأ الرّجل، فقال الرّجل: هكذا أقرأنيها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فخرجا إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، حتّى أتياه، فذكرا ذلك له، فقال رسول الله –

[1] – الحديث في صحيح البخاري، بسند صحيح في كتاب الخصومات (44)، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، وكتاب فضائل القرآن (66)، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وقد نقل عنه القاسميّ محمّد جمال الدّين، محاسن التّأويل، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1957، 284/1. وهناك حديث آخر في البخاري "كتاب فضائل القرآن"، نصّه: "حدّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بن عبد الله أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ – رَضِيَ الله عَنْهُمَا – حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَال: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّ انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ"،

صلّى الله عليه وسلّم –: إنّ هذا القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، فأيّ ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن، فإنّ مراء فيه كفر»[1]

ويروى أيضاً عن أبي جهم الأنصاريّ «أنّ رجلين اختلفا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنّه تلقّاه عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، فمشيا جميعاً حتّى أتيا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، فذكر أبو جهم أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: إنّ هذا القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا، فإنّ مراء فيه كفر»[2]

هذه بعض الرّوايات التي بيّنت لنا أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –كان يجيز قراءات النّاس ولا ينكرها عليهم متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعوّدوه من طريقة النّطق، على أنّ هذه الرّوايات، في مجموعها، يشوبها بعض الغموض والإبهام، فليست تبيّن، بجلاء، نصّ الآية أو الكلمة التي اختلف في قراءتها، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات؛ أكان خلافاً صوتيًّا يمكن أن يعزى إلى تباين اللّهجات والألسنة، أم كام في أمر آخر، لا نعلم علم اليقين.

فالمسلم، أيًّا كانت لهجته، وأيًّا كانت بيئته، وأيًّا كانت تلك الصّفات الكلاميّة التي نشأ عليها وتعوّدها، ولم يقدر إلّا عليها، يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعوّدته عضلات صوته ونطقه بلهجته أو لغته، ويجب ألّا ننكر عليه أو نهزأ من قراءته، فقد حاول وبذل الجهد، فله أجر اجتهاده. وكان الحديث الذي يبلغ مرتبة التّواتر: «إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا

[1] – إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 54.

[2] – المرجع السابق، ص: 54.

ما تيسّر منها»[1]

1 –كسر همزة المضارعة:

قرأ الجمهور: "ثمّ أضطرّه إلى عذاب النّار" (البقرة)، وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الهمزة المضارعة، فقال ابن عطيّة على لغة قريش في قولهم: لا إخال، يعني بكسر الهمزة، وظاهر هذا النّقل في أنّ ذلك عن كسر الهمزة التي للمتكلّم في نحو اضطرّ، وهو ما أوّله همزة وصل، وفي نحو إخال، وهو أفعل المفتوح العين من فعل مكسور العين مخالف لما قاله النّحويّون.[2] وقوله تعالى: "فكيف آسى على قوم كافرين"، (إيس بكسر الهمزة).

2 –كسر نون المضارعة:

قرأ الجمهور: إيّاك نعبد" (الفاتحة) وجد لغة الحجاز وهي الفصحى، وقرأ عبيد بن عمر اللّيثيّ وزرّ بن حبيش، ويحيى بن ربيعة بكسر النّون (نِستعين)، وكذلك حرف المضارعة في هذا الفعل وما شابهه، وقال أبو جعفر الطّوسيّ: هي لغة هذيل، وقرأ يحيى بن وثاب: "ونقر في الأرحام ما نشاء" (الحجّ)، بكسر النّون في نِشاء.[3]

[1] –عبده الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص: 68.

[2] – خان، محمّد، اللّهجات العربيّة والقراءات القرآنيّة، دراسة في بحر المحيط، ط2، القاهرة، 2003، دار الفجر، ص: 154.

[3] – محمّد خان، مرجع نفسه، ص: 155.

وفي ختام هذا الفصل نخرج بالنقاط التالية:

- ❖ اختلف تعريفات العرب القدامى للّغة، تبعاً لنظرة كلّ منهم لها، لكنّهم اتّفقوا على أنّها ذات جانبين مهمّين: الأوّل أنّها اجتماعيّة، حيث تستعمل للتّواصل بين الأفراد، والثّاني أنّها تعبير عمّا يجول في الخواطر من الأفكار.
- ❖ تنقسم اللّهجات العربيّة القديمة إلى "بائدة" و"باقية"، فالبائدة هي "الثّموديّة" و"الصّفوية"، و"اللّحيانيّة" وتسمّى لهجات النّقوش، أمّا الباقية فهي التي تنسب إلى القبائل التي عاشت ولا تزال في شبه الجزيرة العربيّة، وغيرها من الأمصار.
- ❖ أجمع اللّغويّون العرب القدامى والمحدثون على أنّ لهجة قريش هي أفصح اللّهجات، لأسباب دينيّة في الأساس، ذلك أنّ قريشاً كانت تعيش في مكّة، وبها نزل القرآن الكريم على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–.
- ❖ هناك علاقة وطيدة بين علم اللّهجات وعلم القراءات؛ لأنّ القرآن الكريم نزل للمسلمين كافّة، وقد نزل باللّغة العربيّة الفصيحة، ورغم ذلك فإنّه نزل بالقراءات المختلفة، حتّى لا يكون هناك حرج في فهم نصوصه لدى مختلف القبائل العربيّة.
- ❖ كان العرب القدامى يعبّرون عن اللّهجة بلفظ "اللّغة؛ فيقال "لغة أسد"، "لغة تميم"، لغة قريش"، "لغة الحجاز"، "لغة هوازن"، وألّفت في ذلك العديد من الرّسائل والكتب، التي تحمل اسم "لغات العرب"، إضافة إلى كتب الغريب.
- ❖ عرفت الدّراسات اللّغويّة لدى العرب القدماء، وقد صنّفوا في ذلك مصنّفات تختلف

باختلاف الموضوع إلّا أنّها تصبّ في معين واحد، هو محاولة جمع اللّغة والحفاظ عليها، مع ملاحظة أنّهم لم يعبّروا عن اللّهجات المختلفة للقبائل إلّا بلفظ "لغات"، كقولهم مثلاً: "لغة قيس"، "لغة تميم"، "لغة أهل الحجاز"، "لغة أهل اليمن"، وهي كلّها فروع عن اللّغة الفصحى.

- ❖ رغم اختلاف القدماء في تعريفهم للّغة، وآرائهم حول نشأتها، إلّا أنّهم استطاعوا الوصول إلى ماهيتها، عبر استقراء عمليّة الكلام، والغاية التي من أجلها يتمّ التّلفّظ، ونقصد بذلك أنّ اللّغة ذات وظيفة تواصليّة، وهذا ما أشار إليه ابن جنّي بقوله: اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.
- ❖ عرفت الدّراسات اللّسانية تطوّرا في القرن التّاسع، في أوربّا، وذلك بظهور اللّسانيات كعلم قائم بذاته، له أصوله وقواعده، وقد تبلور ذلك بعد ظهور كتاب "دي سوسير"، بعنوان "Cours de linguistique générale"، والذي نشره تلميذاه "شارل" و"بالي".
- ❖ عرفت كتب اللّغة العديد من الأمثلة والشّواهد على اختلاف اللّهجات من النّاحيتين الصّوتيّة والصّرفيّة، مثلما فعل "سيبويه" و"ابن فارس" و"ابن جنّيّ" و"المبرّد"، و"الأصمعي".
- ❖ اهتمّت الدّراسات اللّغويّة الغربيّة باللّغة، خصوصاً بعدما فصل "دي سوسير" بين اللّغة والكلام، من خلال محاضراته التي جمعها تلميذاه "شارل" و"بالي"،
- ❖ عرفت الدّراسات اللّغويّة الغربيّة اتّجاهات مختلفة اختلاف الرّؤى والآراء، تبعاً لتعدّد المدارس اللّسانيّة: الوظيفيّة – النّسقيّة – السّياقيّة – التّوزيعيّة – التّحويليّة التّوليديّة ...

❖ عرفت الدّراسات اللّغويّة واللّهجيّة عند العرب تطوّراً في العصر الحديث، على يد مجموعة من الأعلام، أمثال "إبراهيم أنيس" و"أنيس فريحة"، و"علي عبد الواحد وافي"، وغيرهم، وأصبحت الدّراسات اللّهجيّة منفصلة عن الدّراسات اللّغويّة العامّة، بظهور علم اللّهجات، الذي اهتمّ أصحابه باختلاف اللّهجات، وعلاقتها ببعضها البعض، حسب قرب بعضها من البعض، ودرجة تأثير إحداها في غيرها من اللّهجات المجاورة ...

الفصل الثّاني: اللّسانيات العامّة، واللّسانيات الجغرافيّة

1 – مفهوم اللّسانيات

2 – مناهج اللّسانيات

3 – اللّسانيات الجغرافيّة

3 – 1 – مفهوم اللّسانيات الجغرافيّة:

3 – 2 – أهمّ مفاهيم اللّسانيات الجغرافيّة

3 – 2 –1 – الأطلس اللّغويّ

3– 2 – 2 – طريقة عمل الأطلس اللّغويّ

3 – 2 – 3 – أهمّيّة الأطلس اللّغويّ

4 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ

4– 1 – علم اللّغة الجغرافيّ

4– 2 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ

4– 3 – أسباب التّنوّع الجغرافيّ

5 – علاقة اللّسانيات بالجغرافيا

6 – علم اللّهجات

7 – الدّراسة اللّهجيّة

8 – علم اللّهجات واللّسانيات الجغرافيّة

تمهيد

اللّسانيات من العلوم التي ظهرت في القرن التّاسع عشر، وتعني علم اللّغة، بمعنى أنّها امتداد للدّرس اللّغويّ، الذي لم يكن يتّصف بالعلميّة، وهو العلم الذي يهتمّ بدراسة اللّغات الإنسانيّة من حيث التّراكيب والخصائص، وكان ظهوره أوّل الأمر مرتبطاً بالدّراسة التّاريخيّة والمقارنة، من حيث دراسة التّغيّرات الحاصلة في لغة من اللّغات، وكان ذلك بظهور كتاب للمؤلّف الألماني "بوب"، وعنوانه: "نظام التّصريف للّغة السّنسكريتيّة مقارنة مع اللّغات الإغريقيّة واللّاتينيّة، والفارسيّة، والجرمانيّة" عام 1816، ومن المعلوم أنّ اللّغة السّنسكريتيّة من اكتشاف "السّير وليم جونز" (Sir William Jones)[1].

يقول جونز: «إنّ للّغة السّنسكريتيّة – مهما كان قدمها – بنية رائعة أكمل من الإغريقيّة وأغنى من اللّاتينيّة، وهي تنمّ عن ثقافة أرقى من ثقافة هاتين اللّغتين، لكنّها مع ذلك تتّصل بهما بصلة وثيقة من القرابة، سواء من ناحية جذور الأفعال أم من ناحية الصّيغ النّحويّة، حتّى لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة إلى مجرّد المصادفة»[2].

ف"جونز" هنا، يشير إلى ذلك التّقارب بين اللّغات المذكورة، بغضّ النّظر عن قدمها أو حداثتها، لأنّ ما يهمّه هو تلك الصّلات الموجودة بينها، والتي تدلّ على أصلها المشترك، على الرّغم من كون السّنسكريتيّة لغة هنديّة قديمة، بينما اللّغتان الإغريقيّة ذات الأصل الرّومانيّ، واللّاتينيّة ذات الأصل اليونانيّ.

[1] – تمّ هذا الاكتشاف على يد "وليم جونز (1746 – 1794) حين أعلن أمام الجمعيّة الأسيويّة في البنغال عن أهمّيّة هذه اللّغة بالنّسبة للبحوث اللّغويّة الأوروبّيّة. وهو مستشرق بريطانيّ، من قضاة الإنجليز، وشعرائهم، ولد بلندن، وتعلّم ب"هرو" ثمّ "أكسفورد"، تعلّم العربيّة، والفارسيّة، وجمع مختارات منهما، ترجمها إلى لغته، ونشرها سنة (1774)، باسم "تعليقات على الشّعر الأسيويّ"، عيّن في المحكمة العليا ب"كلكتة" سنة 1783، ولقّب ب"السّير"، ترأس "الجمعيّة الأسيوية للبنغال" سنة 1784، ترجم المعلّقات إلى الإنجليزيّة. (ترجمته في الزّركلي خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج8، ص: 123).

[2] – قدّور، أحمد محمّد، مبادئ اللّسانيات، ص: 17-18.

«وعني شليجل (F. Schlegel)[1] في كتابه (حول لغة الهنود وحكمتهم) 1808م، بشرح هذه النّظريّة التي طرحها جونز، وفي الحقبة التي ظهر فيها جونز، أصدر الأب بارتلمي (p. de Barthelemy) – وكان مبشّراً في الهند –كتاباً بعنوان "قواعد السّنسكريتيّة"، وآخر بعنوان "في قدم اللّغات الفارسيّة والسّنسكريتيّة والجرمانيّة والتّجانس بينها"»[2].

ممّا سبق، نلاحظ أنّ الدّراسات اللّسانيّة قبل "سوسير"، كانت تعتمد اعتماداً كلّيًّا على الجانبين التّاريخيّ والمقارن للّغات، ممّا يترتّب عليه إهمال الجانب الوصفي لها، وكانت تلك الدّراسات التّاريخيّة مستندة على اللّغة السّنسكريتيّة كمجال للدّراسة المقارنة، وهذا ما دفع سوسير – فيما بعد – إلى دراسة اللّغة دراسة وصفيّة باعتبارها ظاهرة اجتماعيّة، وقد عني – هو الآخر – بدراسة اللّغة الهنديّة الأوربّيّة، لكن بشكل مختلف عمّن سبقه، وذلك في كتابه المشهور، المذكور آنفاً، عام 1916م.

هذه بعض المحطّات الهامّة في الدّرس اللّساني الحديث، الذي يعتبر امتداداً لجهود اللّغويّين القدماء وليس قطيعة معه، لأنّ اللّغات المدروسة هي نفسها، والاختلاف يكمن فقط في الإجراءات التي يتمّ التّعامل بها مع تلك اللّغات، وما يهمّنا في هذا الفصل هو الحديث عن اللّسانيات الجغرافيّة، والأطلس اللّغوي، لوجود علاقة بينهما وبين الدّراسات اللّهجيّة في العصر الحديث.

[1] – فريدريش شليجل: كاتب وشاعر وناقد ألماني. ولد عام 1772 في مدينة هانوفر، ومات عام 1829 في مدينة درسدن درس فريدريش شليجل منذ عام 1793 الحقوق واللغات القديمة. ويعتبر المنظر الحقيقي للرومانسيين الأوائل، وقد استطاع أن يطور العديد من الأفكار، وأسس مع شقيقه أوجوست فلهلم شليجل مجلة أتينيوم. وكانت حياته غير مستقرة، عمل خلالها في العديد من المناصب الجامعية. وقدم نقداً امتدح فيه رواية جوته «فلهلم مايستر»، اعتمد عليه النقد الأدبي كثيراً (ترجمته في كتاب: باربارا باومان: عصور الأدب الألمانيّ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص: 213).

[2] – قدّور أحمد محمّد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429 – 2008، ص: 18.

1 – مفهوم اللّسانيات

اللّسانيات (Linguistique) مشتقّة من اللّسان، وهو جارحة الكلام، وهي علم يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة، وقد عرفت مختلف الشّعوب الدّراسات اللّغويّة، غير أنّ وضع الأسس العلميّة للّسانيات، كعلم قائم بذاته، لم تتبلور إلّا في العصر الحديث، وتعرّف اللّسانيات بأنّها :«العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيداً عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة، وترجع بداية اللّسانيات، بوصفها علماً حديثاً، إلى القرن 19»[1]

معنى ذلك أنّ الدّراسات اللّغويّة كانت معروفة لدى الإغريق والهنود والعرب وغيرهم، لكنّ تلك الدّراسات لم تكن ذات قواعد لسانيّة محدّدة، وأسس موضوعيّة، بل كانت نابعة من الاستقراء واستخراج القواعد التي تساعد على تعلّم اللّغة، وفهم دلالاتها، وكثيرا ما كانت الدّراسات اللّغويّة متداخلة فيما بينها، كالدّراسات النّحويّة، والصّرفيّة، والصّوتيّة، ومع ذلك تبقى تلك الجهود أساساً، قامت – بناءً عليه – البحوث اللّسانيّة الحديثة، في القرن التّاسع عشر، على يد أشهر أعلامه ك"سوسير"، و"بلومفيد" وغيرهما.

وهناك تعريف آخر للّسانيات لا يختلف كثيراً عن سابقه، يذكر بأنّها «دراسة علميّة للّغة، يقرّ كلّ باحث، بشكل عامّ، بأنّها ظهرت مع نشر كتاب دو سوسير "دروس في اللّسانيات

[1] – بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، ط1، 2009، ص: 129.

العامّة" سنة 1916، وتتوق هذه الدّراسة العلميّة إلى النّظر في اللّغة لذاتها دون اعتبارات خارجيّة عنها، وذلك باستعمال طرق تجريبيّة ذات بعد وصفيّ أفضى إلى ظهور عدّة مدارس تابعة أو مخالفة»[1].

فاللّسانيات – شأنها شأن أغلب الدّراسات – تحوّلت من الدّراسة السّطحيّة إلى الدّراسة العلميّة، التي تعتمد على المقدّمات والنّتائج، أو بتعبير آخر، أصبحت مجالاً للتّجربة العلميّة المبنيّة على قواعد معيّنة، بعيداً عن جميع الملابسات الخارجيّة لها، سواء كانت تاريخيّة أو نفسيّة أو اجتماعيّة أو مقارنة، لأنّ ما يهمّ الباحث اللّساني، بعد سوسير، هو اللّغة في حدّ ذاتها، لا شيء غير اللّغة.

وهذا الانتقال للّسانيات إلى العلميّة يعتبر ثورة في الدّرس اللّساني الحديث، الذي تحوّل من الدّراسة التّاريخيّة للّغة إلى الدّراسة الوصفيّة لها، «ويطلق العلم اصطلاحاً على كلّ بحث موضوعه دراسة طائفة معيّنة من الظّواهر، لبيان حقيقتها وعناصرها، ونشأتها وتطوّرها، ووظائفها والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها»[2]

وقد أشرنا إلى جهود الألمان في الدّرس اللّسانيّ، ويمكن أن نضيف إليه جهود جمعية اللسانيات في باريس Société de Linguistique de Paris تأسست عام 1864)، وهي المؤسسة المحررة لـ (Bulletin de la Société de Linguistique) المجلة البحثية الرائدة

[1] – مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، 2002، سلسلة المعاجم الموحّدة، ع1، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، ص: 87.

[2] – وافي علي عبد الواحد، علم اللّغة، ص: 24.

في اللسانيات، فقد «ظهر مصطلح اللّسانيات – أوّل ما ظهر – في ألمانيا (linguistik)، لكنّ لفظ SPRACHWISSENSCHAFT، كان أقدم منه وأكثر استعمالاً، ثمّ استعمل في فرنسا (linguistique)، ابتداءً من 1826، ثمّ في إنجلترا (linguistics)، ابتداءً من سنة 1855م»[1]

وقد عرف مصطلح (linguistique) عدّة تسميات في اللّغة العربيّة؛ ظهرت في العصر الحديث، في عناوين المقالات والبحوث العلميّة، مثل مصطلح: علم اللّغة – اللّغويّات – فقه اللّغة – الألسنيّة – علم اللّسان – علم اللّسانيات ... وفي سنة 1978 نظّمت الجامعة التّونسيّة ندوة تحت عنوان: الألسنيّة واللّغة العربيّة. وأجمع المشاركون في أشغال النّدوة أنّ أيسر المصطلحات المتداولة في البلدان العربيّة، وأقربها إلى روح اللّغة العربيّة مصطلح "اللّسانيات"، وهو المصطلح الذي وضعه عبد الرّحمن حاج صالح، وسمّي به معهد متخصّص بالجزائر، وأصدرت به أيضاً مجلّة متخصّصة في علوم اللّسان.

ونقول علم اللّسان أو اللّسانيات، على قياس الرّياضيات، ولا نقول علم اللّسانيات؛ لأنّ اللّاحقة "ات" تقابل اللّاحقة"ique"«وقد أطلق العرب المحدثون على هذا العلم الجديد عدّة أسماء، منها: "اللّسانيات" و"اللّسانيات والألسنيّة"، بالإضافة إلى "علم اللّغة وفقه اللّغة"، وهذه الألفاظ مترادفة، أخذت الأولى من مادّة "لسان" بكسر ففتح بمعنى "لغة"، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾[2]، وأخذت اللّفظة الثّانية من مادّة "لِسْن"، بكسر فسكون،

[1] – الحاج صالح، عبد الرّحمن، مدخل إلى علم اللّسان، مجلّة اللّسانيات، 1972، ص: 29.

[2] – إبراهيم، 4.

نقل ابن منظور عن "ابن سيدة" قوله:«اللِّسَانُ اللُّغَةُ مُؤَنَّثَةٌ لَا غَيْر. واللِّسْنُ بِكَسْرِ اللَّمِ: اللُّغَة»[1]

وأضاف صاحب "لسان العرب": «واللِّسْنُ الْكَلَامُ وَلَاسِنَةٌ نَاطِقَة»[2]،

فاللّسن في اللّغة يفيد النّطق والكلام، فهو ذو علاقة باللّغة، وقد مرّ بنا المفهوم اللّغوي «وعلم اللغة استعمال قديم، وكذلك فقه اللّغة، ومن الذين استعملوا الأوّل ابن خلدون في مقدّمته، ومن الذين استعملوا الثّاني الثّعالبي»[3]

أمّا بالنّسبة للّسانيات فهي الدّراسة العلميّة للّغة، أو يقصد بها العلم الذي يدرس اللّغة التي يتكلّم بها الإنسان، كما نجد تعريفات أخرى للّسانيات، نذكر منها تعريف "خولة طالب الإبراهيمي": «علم اللّسان هو تلك الدّراسة العلميّة الموضوعيّة للّسان البشريّ؛ أي دراسة تلك الظّواهر العامّة والمشتركة بين بني البشر»[4]

ويعرّفها "محمّد يونس عليّ" بقوله: «هي الدّراسة العلميّة للّغة، وتسمّى أيضاً الألسنيّة وعلم اللّغة»[5]، فهو في هذا التّعريف، لا يضيف جديداً، لأنّ معظم هذه التّعريفات تتّفق على إضافة العلم إلى كلمة "لغة"، بمعنى أنّ اللّغة تحوّلت إلى العلميّة، خاصّة مع التّطوّرات والتّأصيلات التي وضعها المنظّرون منذ "سوسير"، حيث أصبحت اللّغة خاضعة للتّقعيد في جوانب منها،

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادّة (لسن)، ج: 13، ص: 386.

[2] – المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]– حليلي عبد العزيز، اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة، تعاريف – أصوات، منشورات دراسات سال، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 1991، ص: 11.

[4] – طالب الإبراهيميّ خولة، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط2، 2006، ص: 9.

[5] – محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2004، ص: 8-9.

والتّجريب في جوانب أخرى.

ويشير أيضاً "أحمد محمّد قدّور" بتعريفه للّسانيات أنّها «العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيداً عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة، وكلمة علم الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى؛ لتمييز هذه الدّراسة من غيرها، لأنّ أوّل ما يطلب في الدّراسة العلميّة هو اتّباع طريقة منهجيّة، والانّطلاق من أسس موضوعيّة، يمكن التّحقّق منها وإثباتها»[1]

وتعرّف اللّسانيات عادةً بأنّها "الدّراسة العلميّة للّسان"، ولكنّ هذا التّعريف عامّ جدًّا، ولا يحدّد اتّجاه هذه الدّراسة أو نوعها، واهتماماتها، من خلال هذا، يتساءل "مصطفى حركات"، ويقول: هل كلّ ما يَدرس، بطريقة علميّة، جانباً من جوانب ما ينتجه البشر من كلام يعدّ جزءاً من اللّسانيات؟ الجواب عن هذا التّساؤل هو: لا؛ فاللّسانيّون أنفسهم يرفضون إدخال الصّوتيّات الفيزيائيّة (حتّى وإن استعملوا الكثير من نتائجها) ضمن موادّ علمهم.

وتعرّف اللّسانيات بأنّها: «الدّراسة العلميّة والموضوعيّة للّسان البشريّ، من خلال الألسنة الخاصّة بكلّ مجتمع؛ فهي دراسة للّسان البشريّ، تتميّز بالعلميّة والموضوعيّة. العلميّة: نسبة إلى العلم، وهو توجيه عامّ للمعرفة، وإدراك الأشياء والحقائق على ما هي عليه، وبوجه خاصّ دراسة ذات موضوع محدّد وطريقة ثابتة، تنتمي إلى مجموعة من القوانين»[2]

[1] – قدّور أحمد محمّد، مرجع سابق، ص: 13.

[2] – حسّاني أحمد، مباحث في اللّسانيات، منشورات كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، ط2، 2013، ص: 24.

والعلم ضربان: «نظريّ؛ يحاول تفسير الظّواهر، وبيان القوانين التي تحكمها، تطبيقيّ؛ يهدف إلى تطبيق القوانين النّظريّة على الحالات الجزئيّة»[1]

نستنتج، من خلال ما سبق، أنّ اللّسانيات تقوم بدراسة اللّسان البشريّ، ولكنّ هذه الدّراسة تكون ذات صبغة علميّة وموضوعيّة في نفس الوقت؛ يقصد بالدّراسة العلميّة البحث الذي يستخدم الأسلوب العلميّ المعتمد على المقاييس الآتية:

1 – ملاحظة الظّاهرة والتّجريب والاستقراء المستمرّ

2 – الاستدلال العقليّ، والعمليّات الافتراضيّة، والاستنتاجيّة.

3 – استعمال النّماذج والعلائق الرّياضيّة للأنساق اللّسانيّة، مع الموضوعيّة المطلقة.

4 – الموضوعيّة: نسبة إلى الموضوعيّ؛ وهو مشتقّ من الموضوع، أي كلّ ما يوجد في الأعيان والعالم الخارجيّ، في مقابل العالم الدّاخليّ أو الذّات.

أو هو كلّ ما تتساوى حالاته عند جميع الدّارسين، على الرّغم من اختلاف الزّوايا التي يتناولون من خلالها الموضوع، «أي كلّ الحقائق العلميّة يجب أن تكون مستقلّة عن قائليها، بعيدة عن التّأثّر بأهوائهم وميولهم، فتحقّق في البحث العلميّ الموضوعيّة والنّزاهة، فالموضوعيّة هي طريقة العقل الذي يتعامل مع الأشياء والحقائق على ما هي عليه، فلا يشوّهها بنظرة ضيّقة أو تحيّز

[1] – المرجع نفسه، ص: 23.

ذاتيّ»[1]

إضافة إلى ذلك، يتّضح لنا أنّ اللّسانيات تسعى إلى معرفة أسرار اللّسان، من حيث هو ظاهرة إنسانيّة عامّة في الوجود البشريّ، واستكشاف القوانين الضّمنيّة التي تتحكّم في بنيته الجوهريّة، والبحث عن السّمات الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة الخاصّة؛ للوصول إلى وضع قواعد كلّيّة، وتحديد الخصائص العلميّة اللّفظيّة، وحصر العوائق العضويّة والنّفسيّة والاجتماعيّة التي تعيق سبيلها.

وظهر مصطلح اللّسانيات في الثّقافة العربيّة المعاصرة ابتداءً من 1966م، على يد عالم اللّسانيات الجزائريّ "عبد الرّحمن حاج صالح"، الذي اقترح صيغة (اللّسانيات) قياساً على صيغة (رياضيات)، التي تفيد العلميّة، ويصلح هذا المصطلح أن يكون مقابلاً دقيقاً للمصطلح الأجنبيّ (linguistics/linguistique)؛ لأنّه مشتقّ من موضوعه، وهو اللّسان، إذ يتضمّن مصطلح اللّسانيات العلم وموضوعه (علم + لسان)، علم موضوعه اللّسان البشريّ.

2 – مناهج اللّسانيات وفروعها:

لقد أتاحت اللّسانيات للدّارسين إمكانات منهجيّة متعدّدة، لتناول الظّواهر اللّغويّة، وتصنيفها، واستخلاص سماتها وخصائصها، فقد استقرّ الأمر مؤخّراً على أنّ المناهج اللّسانيّة التي يمكن سلوكها والأخذ بها بحسب تاريخ ظهورها، تنقسم إلى: المنهج المقارن – المنهج التّاريخيّ –

[1] – الوعر مازن، النّظريّات النّحويّة والدّلاليّة في اللّسانيات التّحويليّة، مجلّة اللّسانيات، الجزائر، 1986، ص: 6.

المنهج الوصفيّ – المنهج التّقابليّ،

أوّلاً: المنهج المقارن: هو الطّريقة التي سار عليها علماء أوربّا في دراساتهم اللّغويّة (منذ أواخر القرن الثّامن عشر، وأوائل القرن التّاسع عشر)، «وهو يختصّ بدراسة العلاقات التّاريخيّة بين لغتين أو أكثر، ضمن أسرة لغويّة واحدة، ومن المعروف أنّ اللّغويّين – في القرن التّاسع عشر – توصّلوا إلى تقسيم اللّغات إلى مجموعات أو أسر معيّنة، يضمّ كلّ منها فروعاً متعدّدة. وأهمّ هذه المجموعات الكبرى هو المجموعة الهنديّة الأوربّيّة، والمجموعة السّاميّة الحاميّة. أمّا ما دعي بالمجموعة "الطّورانيّة"[1]، فليس قائماً على صلات القرابة، بل هو جمع للغات لا تنضوي تحت إحدى المجموعتين السّابقتين، ولا ترتبط إحداها بالأخرى بأيّ رابطة لغويّة تدلّ على تشابه أو قرابة أو أصل»[2]

ثانياً: المنهج التّاريخيّ: هو وصف اللّغة ببيان ما طرأ عليها من تغيّرات في استعمالها زماناً ومكاناً، فهو يراقب تطوّر ظاهرة لغويّة ما، ويرسم خطّها البيانيّ من حيث الاستعمال وما يتعلّق بها من جوانب، تهتمّ بقلّة استعمال الظّاهرة وكثرتها، وحياتها وموتها، مع بيان مجموعة قوانين تحكم هذه الظّاهرة. فالمنهج التّاريخيّ، حيث «يرى بعض المؤرّخين أنّ ظهور المنهج التّاريخيّ ابتداءً

[1] – أجمع اللّغويّون على أنّ اللّغات التي لا تندرج ضمن الأسرتين "الهندوأوروبّيّة"، و"السّاميّة الحاميّة"، بأنّها تعرف بالأسرة الطّورانيّة، Langues Touraniennes، وذلك نسبة لشعب قديم كان يسمّى بالشّعب "الطّوراني" في العصور القديمة بمنطقة جنوب شرق آسيا، ويدخل ضمنها لغات مثل التّركيّة، والتّركمانيّة، والمغوليّة، والمنشوريّة، والفينيّة، وأوّل من أطلق هذه التّسمية العالم الإنجليزيّ "ماكس موللر" والألمانيّ "بونسن"، وهذه اللّغات لا تنتمي إلى فصيلة واحدة، بل مجرّد أمشاج لا رابط يجمعها، (ينظر، علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ص: 206 – موسوعة علوم اللّغة العربيّة، ج:7، ص: 548 – النّجّار، نادية رمضان: فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، ص: 53 – شاهين عبد الصّبور: في علم اللّغة العامّ، ص: 188 ...).

[2] – أحمد محمّد قدّور، مرجع سابق، ص: 24.

من 1875 يمثّل في جوهره انتقال البحث اللّغويّ في أوربّا في مرحلة فلسفيّة، يعدّ المفكّر الألمانيّ "همبولت"[1] رائدها بدون منازع إلى مرحلة جديدة لم يعد فيها النّظر إلى اللّغة في سياق الحياة الرّوحيّة الكلّيّة للمجتمع والثّقافة، بل أصبح ينظر إليها مثل أيّ جهاز عضويّ طبيعيّ»[2].

ويربط الباحثون بين المنهج التّاريخيّ في الدّراسات اللّغويّة، وبين رواد مدرسة "النّحاة الجدد"، أو النّحاة الشّباب، الذين تتلمذوا على "كورتيس" (G. Curtius)، ومن رواد هذه المدرسة:

- هرمان بول Hermann Paul (1846 – 1921).
- أوغست ليسكيان A. Leskien (1840 – 1916).
- بروغمان k. Brugmann (1849 – 1919).
- أوستوف H. Osthoff (1840 – 1909).
- أسكولي Ascoli (1829 – 1909).[3]

ثالثاً: المنهج الوصفيّ: يهدف إلى وصف كلّ الألسنة التي يتطلّبها البحث؛ لأنّ اللّغة

[1] - فريدريك فلهيلم فون همبولت) بالألمانية (Wilhelm von Humboldt :ولد في 22 يونيو 1767 ، وتوفي في 8 أبريل، 1835 وهو موظف حكومي، دبلوماسي، فيلسوف، مؤسس جامعة هامبولت ببرلين، صديق غوته وشيلر، يذكر غالبا على أنه لغوي، كانت له إضافات هامة في حقل فلسفة اللغة ومسألة التعليم من ناحية نظرية وعملية، كما أنّه واضع أساسيات نظام التعليم في بروسيا، النظام الذي أخذته أمريكا واليابان أسوة في نظاميهما التعليميين.

[2] – غلفان، مصطفى، في اللّسانيات العامّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2010، ص: 165.

[3] – عن المنهج التّاريخيّ، والنّحاة الجدد، ينظر:

– غلفان مصطفى، في اللّسانيات العامّة، ص: 169.

– إفيتش ميلكا: اتّجاهات البحث اللّسانيّ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفايد وفاء كامل، المشروع القوميّ للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط2، 2000، ص: 83.

عبارة عن نظام، يجب معرفة خاصّيته الاقتصاديّة، وهي أيضاً عبارة عن مؤسّسة يجب تحديد إطارها، ولا يمكن القيام بدراسة تاريخيّة ولا بدراسة تصنيفيّة للّغة ما دون وصف دقيق ومحدّد

«فالمنهج الوصفيّ يتناول، بالدّرس العلميّ، كلّ الظّواهر اللّغويّة، بعد تحديد مجالها وزمنها وبيئتها. فلابدّ –هنا– من تحديد المجال كأن يكون لغة فصحى أو لهجة أو مستوى معيّناً (Niveau) من مستويات الاستعمال، كمستوى الشّعر، أو مستوى الإعلام أو الصّحافة، وتحديد الزّمن؛ لأنّ المنهج الوصفيّ يفترض أنّ هناك (سكوناً) ضمن مرحلة زمنيّة محدّدة»[1]

فالدّراسة الوصفيّة تستلزم الثّبات، حتّى يتسنّى لها دراسة الظّواهر اللّغوية بشكل علميّ دقيق، وفق مستوى معيّن، لأنّ مستويات اللّغة تختلف باختلاف العوامل الاجتماعيّة والنّفسيّة والتّاريخيّة، فالمنهج الوصفي بهذا المفهوم «يدرس الظّواهر اللّغويّة في المرحلة الزّمنيّة المقصودة، من غير التفات إلى ارتباطها بغيرها عبر الزّمن، كذلك يحدّد المنهج الوصفيّ البيئة التي تنتمي إليها الظّواهر المدروسة، وهدفه من ذلك كلّه أن يكون البحث محدّداً وخاصًّا بقطاع من اللّغة، حتّى تكون النّتائج صحيحة ودقيقة قدر الإمكان ... لأنّه يفرّق بين ما هو علميّ وما هو تعليميّ. وهذا يدخل في اختصاص علم اللّغة الوصفيّ»[2]

رابعاً: المنهج التّقابليّ

يقصد بالمنهج اللّساني التّقابلي دراسة لغتين أو أكثر، أو للهجتين مختلفتين من لغة معيّنة،

[1] – أحمد محمّد قدّور، المرجع السّابق، ص: 27.

[2] – أحمد محمّد قدّور، المرجع السّابق، ص: 27.

بهدف إيجاد أوجه الاختلاف بينها،كما يشمل الدّراسة التي تجعل من مستويين من الكلام مجالًا للدّراسة العلميّة، وهذا قصد الوصول إلى الفروق الموضوعيّة بين الطّرفين اللّذين تبنى عليهما الدّراسة، «ويتناول المنهج التّقابليّ(contrastive) –وهو أحدث المناهج اللّسانيّة– لغتين أو لهجتين ... وقد نشأ هذا المنهج، أصلاً، من محاولة التّغلّب على صعوبة تعليم اللّغات لغير أبنائها، ولذلك لا يشترط فيه أن يكون خاصًّا بدراسة اللّغات التي تنتمي إلى أسرة لغويّة واحدة ... ولا شكّ في أنّ المنهج التّقابليّ في مجال علم اللّغة التّطبيقيّ، الذي يضع ثمار الدّراسات التّقابليّة النّظريّة في برامج تطبيقيّة، تسهّل تعليم اللّغات، وقد أطلق على الدّراسات التي تسلك هذا المنهج مصطلح علم اللّغة التّقابليّ linguistique contrastive»[1]

بمعنى أنّ المنهج التّقابلي يأخذ بعض العيّنات من لهجتين أو مجموعة لهجات من اللّغة نفسها، قصد معرفة أوجه الاختلاف، التي تميّزّ كلًّا منها، كما أنّها تدرس التّقابلات بين اللّغات المختلفة «ونعني بعلم اللّغة التّقابليّ المقارنة بين لغتين ليستا مشتركتين في أرومة واحدة؛ كالمقابلة بين الفرنسيّة والعربيّة مثلاً، أو بين الإنجليزيّة والعربيّة مثلاً آخر، أمّا إذا كانت المقارنة بين لغتين منأرومة واحدة كالعبريّة والعربيّة مثلاً، وهما من الأصل السّاميّ، فهذا يدخل في مجال علم اللّغة المقارن»[2].

[1] – أحمد محمّد قدّور، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[2] – ياقوت أحمد سليمان، في علم اللّغة التّقابلي، دراسة تطبيقيّة، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، د.ط، 1985، ص: 7.

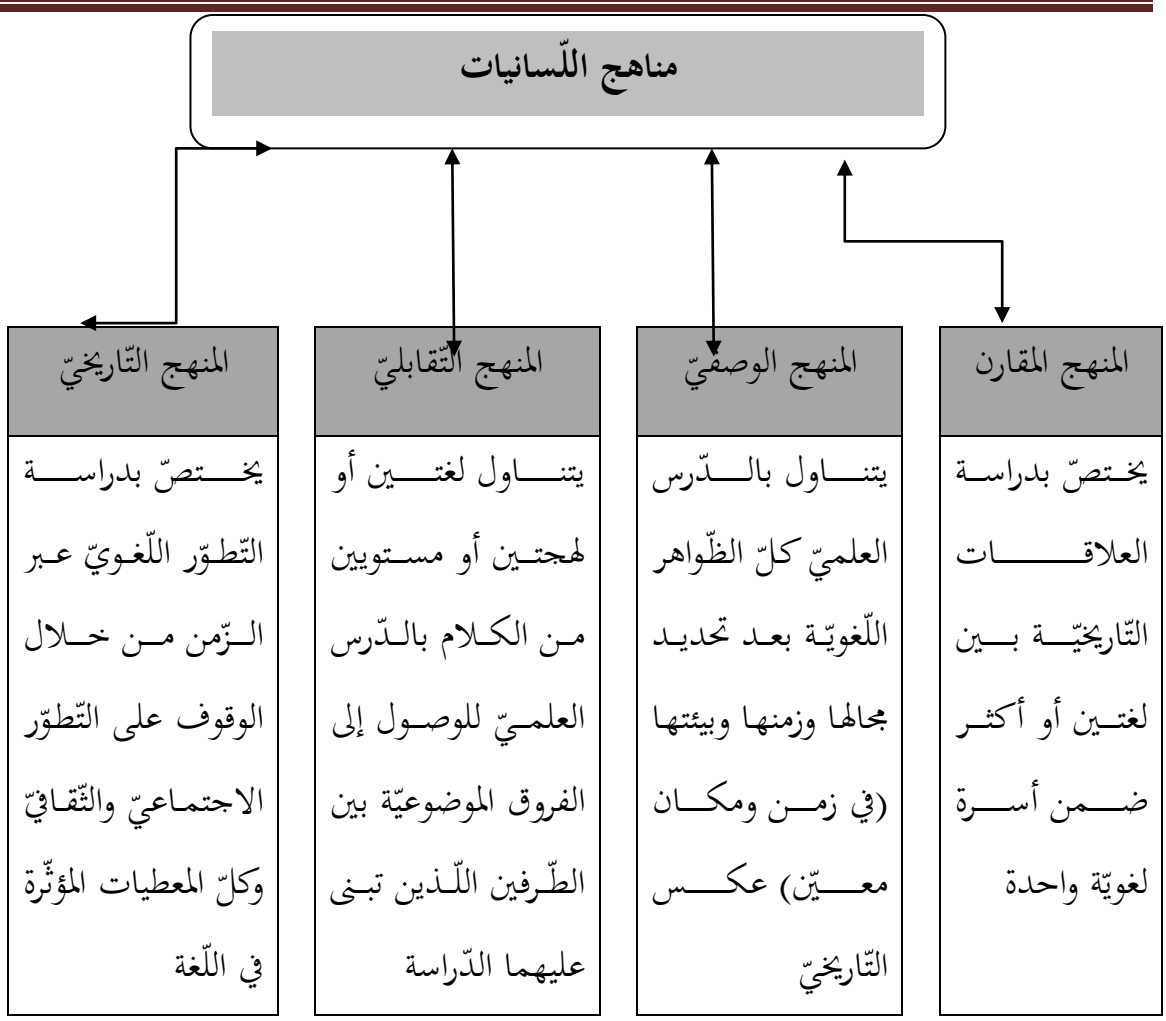

شكل (1): المناهج اللّسانية الأربعة

3 – اللّسانيات الجغرافيّة

من المعلوم أنّ انقسام اللّغة وتعدّدها ينتج عنه ما يعرف باللّهجات، وهذه اللّهجات تختلف من بيئة لأخرى، مشكّلة تموضعات جغرافيّة قد تتفق في خصائص، وتختلف في أخرى، فهذا التّوزيع المكانيّ للّهجة خاصّة، واللّغة بصفة عامّة، يعالج ضمن ما يعرف باللّسانيات الجغرافيّة، وهكذا فإنّ: «البحث اللّغويّ في اللّهجات يقتضي التّعرّف على مواطن هذه اللّهجات، وعلى النّاطقين بها، كما أنّ الدّراسة الأدبيّة لشاعر من الشّعراء تقتضي التّعرّف على عصره

ومجتمعه والظّروف المحيطة به»[1]

3 – 1 – مفهوم اللّسانيات الجغرافيّة:

تعرّف اللّسانيات الجغرافيّة على أنّها العلم الذي يدرس العلاقة بين الظّاهرة اللّغويّة ومجال انتشارها، ويعرّفها "جون ديبوا" في قاموس اللّسانيات وعلوم اللّغة قائلاً: «هي دراسة اختلاف اللّهجات عند الأفراد والجماعات اللّغويّة المنتمية إلى مناطق جغرافيّة مختلفة»[2]

بمعنى أنّ اختلاف اللّهجات ناتج عن مدى قرب المناطق أو بعدها عن بعضها البعض؛ فكلّما كانت البلدان أو الدّول متجاورة كانت لغاتها أو لهجاتها متقاربة، وكلّما تباعدت اتّسعت دائرة الاختلاف بينها، ونحن نقول "اللّهجات" لأنّ اللّغة الفصحى لا تستعمل غالباً في الحديث اليوميّ بين المواطنين من نفس المنطقة، بل تنتشر بينهم اللّهجة المحلّيّة، ومن الأمثلة على ذلك أنّ لهجات الخليج العربيّ تتقارب، ولهجات المغرب العربي تتقارب، لكنّ أهل الخليج أو المشرق يجدون صعوبة في فهم لهجات (الجزائر و تونس والمغرب)، بما في ذلك "مصر" التي تعدّ أقرب دول المشرق العربيّ.

ويذهب "عبد المالك مرتاض" في مقال له بعنوان "اللّسانيات الجغرافيّة ونظرة العرب إليها" المذهب نفسه، حيث جعل اهتمام اللّسانيات الجغرافيّة منصبًّا حول اللّهجات فقال:«فاللّسانيات

[1] – صالحة راشد غنّيم آل غنيم، اللّهجات في كتاب سيبويه أصواتا وبنية، دار المدني للطّباعة والنّشر، جدّة، ط1، 1405 هـ، 1975م، ص: 18.

[2]– جون ديبو، قاموس اللّسانيات وعلوم اللّغة، الموسوعة العربيّة، الرّياض، ط2، د.ت، ص: 221

الجغرافيّة هي في أبسط غاياتها الاشتغال بالبحث في اختلاف اللّهجات داخل لغة واحدة كبيرة»[1]

ويعرّفها "التّونجي" وراجي الأسمر في معجمهما حيث يقولان: «هي دراسة مواقع اللّغات الفصيحة والعامّيّة، واللّهجات من حيث انتشارها وانحصارها، أو انتشار التّخيّل بين ألفاظها، أو تبدّل أصواتها، بسبب اندماجها بغيرها، أو اعتناق شعوبها ديناً جديداً أو بسبب الغزو»[2].

ويرى "أنطوان ميبه" A.Meillet، في هذا العلم إسهاماً في توضيح علم اللّغة التّعاقبيّ، بقوله: «إنّ الخرائط اللّغويّة تمكّننا من أن نحدّد مناطق انتشار الخصائص المتعدّدة، التي تميّز لغات لسان ما، وقد استطاعت الخرائط اللّغويّة فعليًّا أن تحدّد علم اللّسان (اللّغة) التّاريخيّ في نقاط عدّة»[3].

ويعرّفها مشتاق عبّاس في معجمه أنّها:«علم يتناول التّوزيع الجغرافيّ في اللّغات واللّهجات، وحدود الظّواهر اللّغويّة – الصّوتيّة، أو النّحويّة، أو الدّلاليّة، ويهتمّ بوضع الأطلس اللّغويّ بين المناطق والجزر اللّغويّة»[4]

من خلال هذه التّعريفات، نفهم أنّ علم اللّغة الجغرافيّ فرع من فروع علم اللّغة، في تصنيف اللّغات واللّهجات، على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق

[1]– مرتاض، عبد المالك، اللّسانيات وعلوم اللّغة.

[2]– التّونجي محمّد، راجي الأسمر، المعجم المفصّل في علوم اللّغات (اللّسانيات)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص: 226.

[3]– منهج البحث في اللّغة، تر: محمّد مندور، وهو ملحق بكتاب النّقد المنهجيّ عند العرب، ص: 56.

[4]– مشتاق عبّاس، المعجم المفصّل في فقه اللّغة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص: 99.

بين اللّهجات، حيث يدرس هذا العلم اللّغات أو اللّهجات التي يتكلّمها السّكّان في منطقة معيّنة، كما يدرس التّوزيع الإقليميّ للّهجات.

3 – 2 – أهمّ مفاهيم اللّسانيات الجغرافيّة

3 – 2 – 1 – الأطلس اللّغويّ

من هنا سنذهب إلى ذكر أهمّ مفاهيم اللّسانيات، وهو الأطلس اللّغويّ، «ويعتبر طريقة جديدة لتسجيل الظّواهر اللّغويّة على خرائط جغرافيّة»[1]

ويعرّف "سعيد العمري" الأطلس اللّغويّ يقوله: «فكرة جديدة عرفتها أوربّا في أواخر القرن الماضي، وظهرت آثارها في خلال هذا القرن، حيث تمّ عمل الكثير من الأطالس اللّغويّة في أوربّا وأمريكا، وبعض البلاد العربيّة»[2].

نلاحظ أن سعيد العمريّ أعطى تعريفاً بسيطاً للأطلس اللّغويّ، بيّن فيه فكرة نجمت عن اختلاف اللّغات الهندو أوربّيّة، والتي هي في الأصل ذات أصل واحد هو اللّغة اللّاتينيّة، لينتشر اسعماله فيما بعد في سائر بقاع العالم.

ويذهب "رمضان عبد التّوّاب" إلى تعريف الأطلس اللّغويّ بقوله: «الأطلس اللّغويّ من

[1]– الحمد، عبد العزيز بن حميد، علم اللّغة الجغرافيّة بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، مقال، جامعة القصيم، مج: 6، 2013، ص: 669 – 715.

[2]– العمريّ، محمّد أحمد سعيد، أطلس لغات قيس وما يناظرها من لغات العرب، السّعوديّة، جامعة أمّ القرى، ط1، 1982، ص: 180.

أحدث وسائل البحث في علم اللّغة وفقهها، له وظيفة ذات أثر بالغ في الدّراسات اللّغويّة في العصر الحديث؛ لأنّها تسجّل الواقع اللّغويّ للّغات واللّهجات في خرائط»[1].

وهنا يبيّن الباحث في تعريفه وظيفة الأطلس اللّغويّ، وأثره البالغ في الدّراسات اللّغويّة، حيث قال: إنّها تسجّل الواقع اللّغويّ للّغات واللّهجات، وأوّل من نقل هذه الفكرة، وعرف الأطلس اللّغويّ في العالم العربيّ هو "خليل محمود عساكر"

ويعرّف أيضاً على أنّه: «أطلس يحتوي على خرائط، تبيّن كلّ منها المنطقة الجغرافيّة التي تسود فيها سمة لغويّة معيّنة، من حيث النّحو أو الصّرف، أو المفردات أو اللّفظ، كما يبيّن توزيع اللّهجات جغرافيًّا»[2].

ومنه فالأطلس اللّغويّ يحتوي على مجموعة من الخرائط ظاهرة أو أكثر من لهجة أو لغة، معتمدة في ذلك على مجموعة من الرّموز من الأشكال الهندسيّة[3]، وقد أشار أحمد خاطر إلى أنّ الأطلس نوعان، هما:

تحليليّة: تتناول الخريطة، في هذا النّوع، عنصراً واحداً كنطق القاف أو الجيم مثلاً في البلاد العربيّة، أو الكلمات التي يدلّون بها على الرّجل أو البيت.

[1]– عبد التّوّاب، رمضان، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، مكتبة الخنجيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م، ص: 148.

[2]– مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنيّة، ص: 168. ينظر، أحمد أحمد خاطر، في اللّهجات العربيّة، مقدّمة للدّراسة، مطبعة الجيش الإسلاميّة، القاهرة، 1979، ص: 16.

[3]– بولغيتي مانت، جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللّهجات العامّ –دراسة وصفيّة – مذكّرة ماجستير، قسم اللّغة والأدب العربي، الجامعة الإفريقيّة، أحمد دراية أدرار، 1435هـ - 2014م، ص: 30.

تركيبيّة: في هذا النّوع توضّح الخريطة فيه عنصرين أو أكثر، كصيغ الفعل الماضي أو أنواع الجمع، أو الضّمائر، أو أنواع الجمل ...

طريقة عمل الأطلس اللّغويّ

توجد طريقتان لعمل الأطلس اللّغويّ

1 – الطّريقة الألمانيّة: ابتكرها وقام بتنفيذها "فنكر"، وقد بدأ عمله بجمع الخصائص اللّهجيّة في مساحة ضيّقة، ثمّ وسّع ميدان البحث تدريجيًّا[1].

ونستخلص – من خلال ما قدّمه – أنّه ألّف أربعين جملة، تدور حول أهمّ ما يجري على ألسنة النّاس في حياتهم اليوميّة في ألمانيا، وطبعها على شكل استمارة بها معلومات عن الرّاوي اللّغويّ، والجهة التي سجّلت فيها اللّغة المنطقة.

2 – الطّريقة الفرنسيّة: وهي الطّريقة التي كانت سائدة ولفترة طويلة في عمل الأطلس اللّغويّ، وطريقتها أن تعمل خريطة للإقليم المراد عمل أطلس له، وتنتخب منه قرى وبلاد يلاحظ في كلّ منها أن تمثّل إلى حدّ ما البيئة اللّغويّة التي توجد البلدة أو القرية بها. وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي 400 بلدة «ثمّ يؤلّف كتاب خاصّ يعرف بكتاب الأسئلة Fragelach، يحتوي على ألفي سؤال، أو على ألفين وخمسمائة، يتوخّى فيها أن تكون شاملة لأهمّ الأشياء التي تشاهد في الرّيف أو المدينة، ولأكثر الألفاظ شيوعاً في الحياة اليوميّة، ويكون ترتيب هذه الأسئلة

[1]– عبد التّوّاب، رمضان، مرجع سابق، ص: 151.

موضوعيًّا؛ بحيث يختصّ كلّ جزء من الأطلس بموضوع أو بعدّة موضوعات»[1]

*** الفرق بين الطّريقتين**

لقد حدّد "رمضان عبد التّوّاب" الفرق بين الطّريقتين الألمانيّة والفرنسيّة فيما يلي:

1 – الطّريقة الألمانيّة تمتاز بالشّمول، لأنّها لا تترك جهة إلاّ ذكرت زواية اللّفظ فيها، بخلاف الطّريقة الفرنسيّة، فإنّها تنتخب فقط.

2 – تمتاز الطّريقة الفرنسيّة بالدّقّة، لأنّ المسجّلين اللّغويّين تلقّوا تدريباً كافياً من النّاحية اللّغويّة والصّوتيّة، وبذلك فهم ثقات فيما يدوّنون عن الرّواة اللّغويّين.

3 – الطّريقة الفرنسيّة مباشرة، والطّريقة الألمانيّة غير مباشرة؛ فكانت أقلّ دقّة.

هذان الطّريقتان تبدوان قديمتين، لاعتمادهما على وسائل قديمة، لأنّ في هذا العصر يتيح الحساب الآلي وأدوات الرّسم إمكانات متقدّمة لإضافة الألفاظ والملاحظات اللّغوية على مواضعها في الخرائط.

3 – 2 – 2 – أهمّيّة الأطلس اللّغويّ

وقد أبان "شتيجر" العالم السّويسريّ الذي له بهذا الموضوع عناية خاصّة، عن قيمة الأطلس اللّغويّ وأهمّيّته للّغة العربيّة يقول في تقرير له: «وبالنّسبة للّغة العربيّة نقول أنّ القيام بعمل

[1]– الحميد، عبد العزيز حميد بن محمّد، نحو أطلس لغويّ جغرافي للجزيرة العربيّة، ص: 242 – 243 .

أطلس لغويّ لها سيحدث ثورة في كلّ الدّراسات الخاصّة بفقه اللّغات السّاميّة، لأنّه سيكمل – من دون شكّ – الدّراسات التي تعتمد على النّصوص القديمة العصريّة، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات، والتّغيّرات التي أصابت اللّغة العربيّة في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثّرها بالمراكز الثّقافيّة، وتنوّع مفرداتها»[1]

إنّه سيكون عملاً ثقافيًّا من الطّراز الأوّل، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وافتخار في تاريخ الثّقافة العالميّة. فرغم وجود أهمّيّة الأطلس اللّغويّ «إلّا أنّه أيضاً لا يخلو من عيوب، وسنذكر واحداً من أهمّ العيوب للأطلس اللّغويّ، وهو أنّه لا يثبت على مرّ الزّمن، مادامت اللّهجات المحلّيّة تتغيّر، ربّما بدرجة أسرع من اللّغة الأدبيّة، ولهذا فإنّه – في بعض الأحيان – يعاد إجراء عمليّة المسح اللّغويّ بعد مرور سنوات عديدة، ويصبح من الممكن، حينئذ، عمل مقارنة بين نتائج الأطالس، وتكوين صورة شبه تاريخيّة عن التّغيّرات المتشابكة في كلام أو لغة مجتمع معيّن»[2]

4 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ

4 – 1 – علم اللّغة الجغرافيّ

تعدّدت تسميات هذا العلم مع الاختلاف بين الباحثين في المساواة بين تلك التّسميات أو التّفرقة بينها، وفيما يأتي بيان لأهمّ هذه التّسميات:

[1]– مؤتمر الدّورة الخامسة عشر، الجلسة، خليل محمود عساكر، الأطلس اللّغويّ، مجلّة البحث في مجلّة المجتمع، 1949، ج7، ص: 379 – 438.

[2]– ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998، ص: 133.

علم اللّغة الجغرافيّ أو علم اللّغة الإقليميّ Area linguistics:«فرع من فروع علم اللّغة، يبحث في تصنيف اللّهجات واللّغات على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق بين هذه اللّهجات»[1].

ويسمّى هذا العلم أيضاً جغرافيا اللّهجات أو الجغرافية اللّغويّة Linguisticgeography. «ويطلق مصطلح علم اللّغة الإقليميّ أو الجغرافيّ أيضاً على دراسة اللّغات أو اللّهجات التي يتكلّمها السّكّان في منطقة معيّنة. ومثال ذلك دراسة لغتين متجاورتين؛ لمعرفة كيف تؤثّر كلّ منهما في الأخرى، فيما يتعلّق بالنّحو، والمفردات، والنّطق ...»[2]

وهذا العلم، وإن كان حديثاً، غير أنّ العرب قد تعاملت وفق منهجه المذكور، فقد ذكرنا أنّهم درسوا اللّهجات في شبه الجزيرة العربيّة، من خلال المصادر المعروفة والتي أشرنا إليها في مناسبات سابقة.

«ويطلق، أيضاً، على علم اللّغة الجغرافيّ Geo—linguistic، ويعرّفونه بأنّه دراسة اللّغات من حيث توزيعها الجغرافيّ والسّكني، ومن حيث تأثير كلّ لغة في اللّغات الأخرى. ويهتمّ علم اللّغة الجغرافيّ بدراسة اللّغات في الحالة التي هي عليها الآن، مع الإشارة بصفة خاصّة إلى عدد المتحدّثين بكلّ لغة، والتّوزيع الجغرافيّ والأهمّيّة الاقتصاديّة والعلميّة والثّقافيّة»[3]

[1]– الخطيب أحمد شفيق، قراءات في علم اللّغة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص: 42.

[2]– الخطيب أحمد شفيق، المرجع السّابق، ص: 42.

[3]– الحميد، عبد العزيز بن حميد، علم اللّغة الجغرافيّ، بين حداثة المصطلح، وأصوله لدى لدى العرب، مجلّة الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة، الجامعة الإسلاميّة العلميّة، ماليزيا، ع: 2، ديسمبر 2011، ص: 29.

وعرف بأنّه «دراسة إقليم جغرافيّ معيّن دراسةً جغرافيّةً تاريخيّةً واجتماعيّة في وحدة لغويّة معيّنة»[1].

فهذه التّعريفات – على اختلافها – تشير إلى كون علم اللّغة الجغرافيّ متّصلاً بالتّوزيع الجغرافيّ، وهذا ما نلاحظه بالفعل، إذ إنّ اللّغات أو اللّهجات التي يكون متكلّموها في رقعة جغرافيّة معيّنة تكون متقاربة في نحوها وصرفها وأصواتها، وكلّما اتّسعت المساحة، وتباعدت الأقاليم، تباعدت اللّغات أو اللّهجات فيما بينها، فلهجات الخليج العربيّ – على سبيل المثال – متقاربة، ولهجات المغرب العربيّ كذلك، لكن أهل الخليج وأهل المغرب يختلفون في تسمية الكثير من الألفاظ والتّعابير، كما أنّ سكّان أمريكا الجنوبيّة قد يستعملون لهجات إسبانيّة، في حين أنّ سكّان أمريكا الشّماليّة يتكلّمون لهجات إنجليزيّة أو فرنسيّة، وهكذا.

وقد جعل اللّغويّ "ماريو باي" من وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ «أن يصف – بطريقة علميّة وموضوعيّة – توزيع اللّغات في مناطق العالم المختلفة، ليوضّح أهمّيّتها السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والاستراتيجيّة والثّقافيّة، وأن يدرس طرق تفاعل اللّغات بعضها مع بعض، وكيفيّة تأثير العامل اللّغويّ في تطوّر الثّقافة والفكر الوطنيّين»[2].

ولا شكّ أنّ ما ذكره "ماريو باي" من بعض وظائف هذا العلم، فهو علم واسع متجدّد، يتناول مسائل كثيرة، تلتقي فيها اللّغة بالجغرافيا .

[1]– باغي أحمد عبد الله عبد ربّه، الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب، دراسة في ضوء علم اللّغة، رسالة دكتوراه، إشراف حلمي خليل، قسم اللّغة العربيّة واللّغات الشّرقيّة بكلّيّة الآداب بجامعة الاسكندريّة، 1991م، ص: 7.

[2]– ماريو باي، المرجع السّابق، ص: 37.

4 – 2 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ

لقد حاول "ماريو باي" – في كتابه "أسس علم اللّغة" – أن يحدّد عدّة وظائف واهتمامات يعالجها علم اللّغة الجغرافيّ، تتمثّل فيما يأتي بيانه[1]:

- يتناول علم اللّغة الجغرافيّ لغات المناطق المتنوّعة على وجه الأرض، وكيف يمكن الاستفادة منها، وإحلال غيرها محلّها، وماذا تمثّل من وجهة النّظر العلميّة للرّجل العسكريّ، والمواطن الحكوميّ، والباحث العلميّ والفنّيّ. ولتحرّك هذه الطّبقات ونحوها، فإنّه لا يكفي أن يعرف الفرد منهم معلومات سريعة عن لغات منطقة معيّنة، فلابدّ من تلقينهم بعض معلومات سريعة عن لغات مناطق أخرى.
- ضرورة إعداد دراسات مفصّلة، وعمل إحصاءات عن اللّغات والأمّيّة، والمركز التّعليميّ لمناطق العالم المختلفة.
- بيان عدد المتكلّمين بكلّ لغة من اللّغات، وتوزيعها الجغرافيّ، وكذا وصفها.
- إعداد علماء لغة جغرافيّين مدرّبين، يمكنهم أن يسايروا التّطوّرات السّريعة المتوقّعة في هذا الحقل.
- يهتمّ علم اللّغة الجغرافيّ بالوضع الحالي للغات العالم، عاقداً المقارنة بينها على ضوء العوامل الموضوعيّة الحديثة، مثل عدد المتكلّمين، التّوزيع الجغرافيّ، احتمالات الاستفادة منها، وأهمّيّتها العلميّة، والسّياسيّة، والثّقافيّة ...، في لإطار عالمنا الذي نعيش فيه.

[1] – المرجع نفسه، ص: 37.

- دراسة بعض العوامل، كاللّغات المحلّيّة، ومجالات النّفوذ اللّغويّ، واللّغات الوطنيّة والاستعماريّة، مع تتبّع نفوذ الأخيرة على الأولى، وكذلك دراسة موضوع اللّغات الأوّليّة والثّانويّة، في منطقة معيّنة، وما يترتّب على ذلك من ثنائية اللّغة أو تعدّدها، ويعطي اهتماماً أيضاً لموضوع إحلال لغة محلّ أخرى.
- الاهتمام بمشكلة التّعايش السّلميّ بين لغتين أو أكثر، في مكان واحد، أو احتكاكها، وتبادل التّأثير والتّأثّر بينها.

من هنا نرى أنّ الوظيفة الأساسيّة للّسانيات الجغرافيّة هي وصف توزيع اللّغات واللّهجات، في مناطق العالم المختلفة، بطريقة علميّة موضوعيّة، من أجل توضيح أهمّيّتها السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة. وللإفادة، فإنّ المسح الجغرافيّ للّهجات العربيّة المختلفة في البلاد العربيّة له فوائد جليلة أهمّها[1]:

- دراسة هذه اللّهجات لذاتها دراسة علميّة عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصّوت والبنية والدّلالة والتّركيب، ولمعرفة التّغيّرات المختلفة، التي تطرأ عليها من وقت لآخر.
- إثراء الدّراسات في العربيّة الفصحى نفسها، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافيّ في كتابة تاريخ هذه اللّغة، في عصورها المختلفة، ويمدّنا بوسائل علميّة، لمعرفة أقرب اللّهجات العربيّة صلة باللّغة الفصحى، وأبعدها عنها.
- يمدّنا هذا المسح الجغرافيّ بالمعلومات اللّازمة لمعرفة مدى امتداد اللّهجات العربيّة القديمة في

[1]- عبد التّوّاب رمضان، مرجع سابق، ص: 149.

الوطن العربيّ، ويفسّر لنا النّصوص المبتورة عن هذه اللّهجات في تراثنا العربيّ.

- يتيح لنا هذا العمل فرض الدّراسة المقارنة، ليس بين اللّهجات واللّغة الفصحى فحسب، ولكن بين اللّغات السّاميّة المختلفة كذلك، وبهذا يقتضي المسح الجغرافيّ للّهجات العربيّة، ولا سيما القديمة، التّركيز على ناحيتين مهمّتين هما[1]:

1 – دراسة للبيئة الجغرافيّة لشبه الجزيرة العربيّة.

2 – دراسة للقبائل العربيّة ومنازلها من شبه الجزيرة.

ذلك أنّ: «الدّرس اللّغويّ الحديث يعتمد اعتماداً كبيراً على الجغرافيا اللّغويّة Linguistic geography، وارتباط دراسة اللّهجات – على وجه الخصوص – بهذه الجغرافيّة اللّغويّة، أصبح من القوّة بحيث يقرّر كارول Carole أنّ هذا المصطلح قد تطوّر إلى أن أطلق عليه اللّغويّون المحدثون "الجغرافيا اللّهجيّة"، geography Dielect»[2]

بعد أن تعرّفنا على أهمّ الوظائف والفوائد التي يمليها علم اللّغة الجغرافيّ، ننتقل إلى عنصر آخر، يتعلّق بالتّنوّع الجغرافيّ وأسبابه.

4 – 3 – أسباب التّنوّع الجغرافيّ

إنّ التّنوّع المطلق يثير مشكلات نظريّة بحتة، ولكنّ الأمر نفسه لا يمكن أن ينطبق على

[1] – الرّاجحي عبده، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، ص: 7.

[2] – الرّاجحي عبده، المرجع السّابق، ص: 7.

اللّغات التي تنتمي إلى أصل واحد، فذلك أمر يمكن ملاحظته، والعودة إلى الوحدة اللّغويّة، إذاً بإمكاننا الوصول إلى السّبب الأساسيّ في التّمييز المكانيّ للّغات، عن طريق رجوعنا إلى الظّروف النّظريّة الكامنة وراء ذلك، ومن هذا المنطلق، فقد حاول العلّامة دي سوسير في كتابه "محاضرات أو دروس في اللّسانيات العامّة" إعطاءنا نماذج حيّة، حول الأسباب والدّوافع الكامنة وراء التّنوّع الجغرافيّ للّغات.

إذ يرى أنّ أبرز ما يظهر في دراسة اللّغات هو تنوّعها، أي تلك الفروق اللّغويّة التي تظهر عند الانتقال من بلد لآخر، فكثيراً ما يغفل الملاحظ التّنوّع الزّمانيّ، أمّا التّنوّع المكانيّ فيظهر للمرء في الحال، بل يدركه الرّجل البدائيّ، نتيجة اتّصاله بأبناء قبيلة تتكلّم لغة أخرى، فظاهرة التّنوّع الجغرافيّ أوّل مسألة لاحظها علم اللّغة، وقد حدّد هذا التّنوّع المراحل الأولى للبحث العلميّ في اللّغة المختلفة، ويعود ذلك إلى عدم تجاوزهم حدود بلاد الإغريق[1]. وقد قام سوسير برصد أهمّ أسباب التّنوّع الجغرافيّ، سنحاول إيجازها فيما يلي:

1 – الزّمن:

يعدّ الزّمن العامل الأساسيّ في هذا التّنوّع، فلو نقلت لغة ما مستعملة في مكان محدّد – كجزيرة صغيرة– وزرعها المستوطنون في مكان محدّد آخر – جزيرة أخرى مثلاً – بعد مرور مدّة من الزّمن، تظهر فروق المفردات والقواعد واللّفظ، تفصل اللّغة الأصليّة عن اللّغة التي زرعها المستوطنون؛ حيث يرى "سوسير" أنّه من الخطأ الاعتقاد أنّ اللّغة المنقولة هي التي تتغيّر وحدها،

[1]– ينظر، علم اللّغة العامّ، دي سوسير، ص: 214.

وتبقى اللّغة الأصليّة ثابتة، أو العكس، قد يظهر التّغيّر في إحدى اللّغتين، أو فيهما معاً. فدراسة المسألة من جانب واحد لا تفي بالغرض، لأنّ العناصر الجديدة في اللّغة الأولى مهمّة كاللّغة الثّانية.[1]

2 – تأثير الزّمن في المنطقة المتّصلة

قد تسيطر لغة واحدة على منطقة جغرافيّة بأكملها، في لحظة معيّنة من التّأريخ، وبعد مرور خمسة قرون أو عشرة، ربّما لا يستطيع سكّان جزء من هذه المنطقة أن يفهموا لغة سكّان جزء آخر بعيد عنهم، ومع ذلك يفهم سكّان كلّ جزء من المنطقة لغة سكّان الجزء المجاور لها. فالمسافر من نهاية هذه المنطقة إلى نهاية الأخرى لن يلاحظ سوى فروق محلّيّة صغيرة، من مكان لآخر، لكنّ المجموع الكلّي لهذه الفروق يزداد تدريجيًّا إلى أن يصل المسافر إلى لغة لا يفهمها سكّان المكان الذي بدأ منه سفره.[2]

يفهم من هذا أنّ وجود المناطق الجغرافيّة المتجاورة والمتميّزة يفسّر تنوّع أشكال اللّسان حسب الأماكن، بتأثير الزّمن.

ويرى "سوسير" أنّ اللّهجات ليس لها حدود طبيعيّة؛ فبقدر وجود الأماكن الجغرافيّة توجد اللّهجات، وهذا عكس الرّأي السّائد؛ وهو عدّ اللّهجات أنماطاً لغويّة محدّدة متميّزة، لها حدود في

[1] – دي سوسير، المرجع نفسه، ص: 219.

[2] – دي سوسير، المرجع السّابق، ص: 222.

جميع الجهات، وتغطّي هذه اللّهجات مناطق جغرافيّة متميّزة.[1]

فيمكن التّعرّف على لهجة من خلال صفاتها وميزاتها، ولكن من الصّعب تحديد المكان الذي تبدأ منه وتنتهي إليه، فمثلاً «لهجات اللّغة العربيّة يمكن التّعرّف على خصائص كلّ منها؛ مصريّة، أو سوريّة، أو عراقيّة ...، ولكن لا يمكن أن يعرف بالتّحديد المكان الذي تنتهي عنده السّوريّة أو غيرها؛ للتّداخل الشّديد بينها»[2]

والأمر نفسه في دراسة اللّهجات العربيّة القديمة، كما ذكر بعض الباحثين أنّ «للدّراسة اللّغويّة الجغرافيا في الجزيرة خاصّيّة فريدة؛ هي أنّ الوحدة اللّغويّة [أي الجماعة اللّغويّة] كانت تنتقل راحلة من مكان لآخر، على بعد شايع، وعلى هذا، فإنّ تحديد مواطن هذه الوحدات على خرائطنا ليس ممثّلاً للواقع، بل هو مجرّد صورة تقريبيّة لتقسيم اللّهجات، وقد يكون في هذه الصّورة بعض الخطأ»[3].

خاصّة بعض الاتّجاهات؛ كالحدود الجنوبيّة للهجات شمال الجزيرة، فمن الصّعب تحديدها[4]. ولعلّ ذلك يعود إلى شساعة المساحة، وتنقّل القبائل العربيّة بين هاته المناطق.

كما يرى دي سوسير أنّ من بين أسباب هذا التّنوّع هو أنّ اللّغات ليس لها حدود طبيعيّة،

[1] – المرجع نفسه، ص: 222 – 223.

[2] – هلال عبد الغفّار، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، ص: 399.

[3] – رابين، اللّهجات العربيّة والغربيّة القديمة، تر: عبد الرّحمن أيّوب، دار السّلاسل للطّباعة والنّشر، الكويت، 1976، ص: 44.

[4] – ينظر: المزيني، حمزة بن قبلان، دراسات في تأريخ اللّغة العربيّة، دار الفيصل الثّقافيّة، الرّياض، ط1، 1421هـ – 2000م، ص: 115.

ولا سيما اللّغات المتقاربة (التي لها أصل واحد)؛ بحيث لا يمكن رسم الخطّ الفاصل بين الفرنسيّة والإيطاليّة مثلاً، بالرّغم من أنّ هناك نقاطاً واضحة، يمكن جزم أنّ "الفرنسيّة تسود هنا، والإيطاليّة تسود هناك"، ولكنّ التّمييز يختلف بين اللّغات التي تقع بين هاتين النّقطتين، فالخطوط الفاصلة بين اللّغات كالخطوط الفاصلة بين اللّهجات، تختفي في مراحل الانتقال[1]. وهذه أهمّ الأسباب التي تساهم في التّنوّع الجغرافيّ، حيث فصّل فيها العالم دي سوسير بالشّرح والتّمثيل.

5 – علاقة اللّسانيات بالجغرافيا

إن للّسانيات الجغرافيّة علاقة تلازميّة بالجغرافيا أو المكان، يكون لزاماً تعريف أو تسليط الضّوء على مفهوم الجغرافية، فقد وضعت عدّة مفاهيم حول ماهية الجغرافيّة، اخترنا منها ما يلي:

الجغرافيا: علم الموقع ومظاهر سطح الأرض (التّضاريس)، وتوزيع الكائنات الحيّة (الإنسان والنّباتات والحيوانات) على اليابسة، وفي أعماق المياه، ويدرس الجغرافيّون الأماكن التي توجد فيها كلّ من الإنسان والحيوان والنّبات، وعلاقتها بالأزهار والصّحاري، والجبال، وغيرها من مظاهر السّطح، وكلمة جغرافيا مشتقّة من الأصل اليونانيّ "جيوغرافيا"، وتعني وصف الأرض.[2] وهي تنقسم إلى قسمين: جيو، وتعني الأرض وغرافيا، وتعني وصف أو الصّورة، وترجمت في اللّغة العربيّة إلى "وصف الأرض"[3]

[1] – ينظر، دي سوسير، علم اللّغة العامّ، ص: 225.

[2] – جون ديبو، قاموس اللّسانيّات وعلوم اللّغة، ص: 401.

[3] – عبد الحميد غني فلاح المناصير، الأسماء، الجغرافيا، واللّغة العربيّة الفصيحة، مقال، ص: 1.

وقد عرف دليل توحيد الأسماء الجغرافيّة على الصّعيد الوطنيّ الصّادر عن الأمم المتّحدة للاسم الجغرافيّ بأنّه: «اسم يطلق على معلم أرضيّ، وبوجه عامّ، فإنّه الاسم الجغرافي هو اسم العلم، كلمة محدّدة أو مجموعة محدّدة من الكلمات، تستعمل في اللّغة استعمالاً منسّقاً للإشارة إلى مكان أو معلم معيّن، أو منطقة معيّنة»[1].

وتنقسم الجغرافياّ إلى أقسام عدّة، منها: الجغرافيا البشريّة؛ ويركّز هذا العلم على دراسة أنماط النّشاط البشريّ، وأوجه صلتها بالبيئة، وتشمل كلًّا من الجغرافيا الحضاريّة، جغرافيّة السّكّان، الجغرافيا الاجتماعيّة، إضافة إلى الجغرافيا الطّبيعيّة، وهناك مسمّيات أخرى للجغرافيا؛ تبعاً للحقل المدروس.

ويقول فردينان دي سوسير – في مجال علاقة اللّسانيات بالجغرافيا «أنّ من يباشر مسألة علاقة الظّاهرة بالمكان، يخرج من مجال اللّسانيات الدّاخليّة، ويدخل في مجال اللّسانيات الخارجيّة، حيث أنّ الاهتمام بالعوامل الجغرافيّة – أثناء التّعامل مع الظّاهرة اللّغويّة — يعدّ نزعة قديمة، بقدم البحوث اللّغويّة، فالدّارسون العرب القدامى أسّسوا تحرّياتهم اللّغويّة على العامل الجغرافيّ، حيث اندرجت هذه الإجراءات في البحث في اللّسانيات الخارجيّة»[2]

إنّ تأسيس البحث في اللّسانيات الخارجيّة على المكان يجد مبرّراً له تنوّع الحدث اللّغويّ واختلافه من منطقة إلى أخرى؛ حيث يقول "دي سوسير": «لئن كانت الاختلافات اللّغويّة

[1] – جون ديبو، مرجع سابق، ص: 401.

[2] – حسّاني، أحمد، مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط، 1994، ص: 25.

النّاجمة عن الزّمان غالباً ما تغيب عن الملاحظ، فإنّ الاختلافات اللّغويّة بين مكان وآخر تبرز مباشرة للعيان ... إنّ هذه المقارنة بالذّات هي التي تجعل شعباً من الشّعوب يتفطّن إلى أنّ له لساناً خاصًّا»[1]

فقد حاول الباحثون ضبط الاستعمالات اللّغويّة بكلّ مستوياتها الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، وتصنيفها حسب التّوزيع الجغرافيّ للمصدر البشريّ، ويتمّ ذلك، عادة، بواسطة الخرائط والأطالس؛ التي تبيّن الاختلافات اللّهجيّة للمجموعة البشريّة الواحدة.

إنّ نقاط الالتقاء بين اللّغة والجغرافيا تبدو، عند التّمعّن فيها، مناطق واسعة، يغفل عنها الباحثون، بسبب غفلة اللّغويّعن قضايا اللّغة المتّصلة بالجغرافيا، وغفلة الجغرافيّ عن قضايا الجغرافيا المتّصلة باللّغة؛ ولذا، يبدو أنّ هذين العلمين يتقاربان ليكوّنا علماً واحداً، تبدو الصّلة وثيقة بين هذين الجانبين فيه، ورغم ذلك فإنّ القدماء قد تفطّنوا إلى "جغرافيّة اللّهجات، وإن لم يصطلحوا على تسميتها كعلم.

6 – علم اللّهجات

6 – 1– تعريفه: اللّهجات علم من علوم اللّغة، وإن لم يذكره القدماء ضمن علومها، إلّا أنّه يحتوي من المقوّمات ما يحتويه أيّ علم آخر، وهو، على ما قرّره مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، حسب قول "محمّد أحمد خاطر: «علم يدرس الظّواهر والعوامل المختلفة المتعلّقة بحدوث صور من

[1] – المرجع نفسه، ص: 25-26.

الكلام في لغة من اللّغات»[1]

6 – 2 – موضوعه: من خلال التّعريف السّابق، يتبيّن لنا أنّ علم اللّهجات يتناول الظّواهر اللّغويّة التي تحدث في لغة من اللّغات، بسبب اختلاف اللّهجات، أو التي يكون اختلاف اللّهجات سبباً رئيسيًّا فيها، وذلك كالإبدال في اللّغة العربيّة، وفكّ الإدغام، والهمز والتّسهيل، وقضايا المشترك والمتضادّ والمترادف فضلاً عن البحث في تفرّع الواحدة إلى لهجات مختلفة، والصّلة بين هذه اللّهجات واللّغة الأمّ، وبينها وبين بعضها البعض، مع تبيان أوجه الاتّفاق والاختلاف من النّواحي الصّوتيّة والصّرفية والإعرابيّة ...

ورغم أنّ القدماء لم يستعملوا مصطلح "العلم" على دراساتهم اللّهجيّة المتنوّعة إلّا أنها كانت تتّصف بالعلميّة، لأنّهم كانوا يجمعون اللّغة وفق قواعد لهجيّة بحتة، تأخذ في الحسبان طبيعة القبائل المحتجّ بكلامها، وهي التي بقيت بعيدة عن العمران، والتي بقيت ألسنتها على ما نشأت عليه، في مقابل القبائل ذات اللّهجات الشّاذّة، أو التي لا سبيل إلى الاحتجاج بكلامها[2]، ولم تكن الدّراسات اللّهجيّة تعتمد على المكان مقياساً لها فقط، بل تعدّت ذلك إلى الزّمان، من خلال ما

[1] – خاطر، محمّد أحمد، في اللّهجات العربيّة – مقدّمة للدّراسة، مطبعة الحسين الإسلاميّة، القاهرة، 1979، ص: 5.

[2] – كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النُّطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانَةً عمّا في النفس والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقْتُدي وعنهم أُخذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب همَ : قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذَين عنهم أكثرُ ما أُخذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَريٍّ قطّ ولا عن سكَّان البَرّاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا منْ لَخْم ولا من جذَام لمجاوَرتهم أهل مصر والقبْط ولا من قُضاعة وغَسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ...(السّيوطي، الاقتراح، ص: 56.

أطلق عليه "عصور الاحتجاج"[1]

6 – 3 – أصوله

يوضّح "محمّد أحمد خاطر" أنّ علم اللّهجات غربيّ النّشأة«علم اللّهجات نتاج غربيّ حديث، أفرزه وكشف عن الحاجة إلية التّقدّم الواسع، الذي أحرزه الغربيّون في مجال الدّراسات اللّغويّة»[2]

وهذا لا يعني أنّ أصول هذا العلم حديثة، بل إنّ الأمم السّابقة قد تعاملت مكانيًّا وزمانيًّا مع اللّهجات، واللّهجات موجودة في كلّ اللّغات القديمة منها والحديثة، والكاتب عندما يذكر بأنّه لم يجد هذا العلم ضمن الدّواوين والكتب، فلسبب بسيط، وهو أنّ العرب لم تكن تفصل العلوم عن بعضها البعض، بل إنّهم نادراً ما يخصّصون عنواناً باسم علم من العلوم المعروفة في ذلك الوقت، لذا نجد مؤلّفات كـ"الخصائص"، و"الصّاحبيّ" و"دلائل الإعجاز"، و"البيان والتّبيين" و"العمدة"، وغيرها تناقش مسائل لغويّة، لهجيّة، نحويّة، صرفيّة، صوتيّة، دون أدنى تقسيم، أو تمييز.

6 – 4 – أهمّيّته

لكلّ علم من العلوم هدف يتوخّاه، وإذا نظرنا إلى علم اللّهجات وجدنا له الأهداف

[1] – قسّم العلماء الشّعراء إلى طبقات: طبقة الجاهليين – طبقة المخضرَمين – طبقة الإسلاميين. طبقة المولَّدين. فالطبقتانِ الأُوليان يستشهد بشِعرهما إجماعًا، وأما الثالثة فالصحيحُ صحةُ الاستشهاد بكلامها.

[2] – خاطر أحمد محمّد، في اللّهجات العربيّة، ص: 7.

التّالية:

1 – نحتاج في عصرنا هذا إلى الوقوف على مراحل تطوّر اللّغة العربيّة في جميع المستويات.الدّراسة المكتملة لعلم اللّهجات تمكّننا من اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربيّة في تطوّرها.

2 – التّمعّن في فهم القرآن، خدمةً للدّين والنّصّ القرآنيّ، لأنّ الاختلاف اللّهجيّ يستلزم دراسة تلك اللّهجات التي تساعد على فهم الآية أو السّورة، ضمن سياق لغويّ (لهجيّ)، قد يخفى على الكثير ممّا جعل كتب التّفسير والغريب تفصّل في الآية الواحدة ضمن سياقات مختلفة، وقد تكون متناقضة في أحيان كثيرة.

3 – تكشف لنا الدّراسة اللّهجيّة العربيّة الحديثة عن احتفاظها بعناصر لغويّة كثيرة، من اللّهجات القديمة، مثل كسر أحرف المضارعة[1].

«فالبحث في اللّهجات الحديثة يتبيّن منه أنّها ترجع، في كثير من الحالات، إلى اللّهجات العربيّة القديمة، أكثر من رجوعها إلى اللّغة الفصحى»[2].

4 – تفيد دراسة اللّهجات الحديثة في تحديد الأماكن التي استقرّت فيها القبائل العربيّة بعد الفتوح الإسلاميّة، حيث إنّ كلّ منطقة نطقت العربيّة بلهجة من نزل بها من العرب.

[1] – ومن ذلك أيضا بعض مظاهر الكشكشة والكسكسة، والشّنشنة، والعنعنة، والفحفحة، وهي صور من اللّهجات، وليست عيوباً، وبعض هذه اللّهجات موجود في الوطن العربي، خاصّة في الخليج، حيث نجد "الكشكشة" على سبيل المثال، بإبدال الكاف الأخيرة شيناً، وكانت في قبيلتي "أسد" و"هوازن"، (وقد ذكر ابن جنّيّ أبياتاً بها كشكشة، وذلك في "سرّ صناعة الإعراب"، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ج1، ص: 207).

[2] – خاطر أحمد محمّد، مرجع سابق، ص: 10.

7 – الدّراسة اللّهجيّة

إنّ دراسة اللّهجات العربيّة القديمة لها أهمّيّة كبيرة في الدّراسات اللّغويّة الحديثة؛ فعن طريقها يمكن معرفة التّطوّر في دلالات الألفاظ، وما تؤدّيه تلك المفردات من معان مختلفة، تبعاً لاختلاف البيئات، ونشأة الدّراسات اللّهجيّة كانت عند العرب والغرب، وسنتطرّق لها فيما يلي:

أوّلاً عند العرب:

إنّ علماء العربيّة القدامى لم يتركوا مؤلّفاً مستقلًّا في اللّهجات العربيّة، ولكن ليس معنى ذلك أنّهم لم يهتمّوا بالدّراسة اللّهجيّة؛ فقد ألّف كثير منهم كتباً أطلقوا عليها اسم (اللّغات)، من هؤلاء: يونس بن حبيب (ت: 283هـ)، والفرّاء (ت: 207هـ)، وأبو عبيدة (ت: 210هـ)، والأصمعيّ (ت: 212هـ)، وأبو زيد الأنصاريّ (ت: 215هـ)، وغيرهم، كما ألّفوا في لغات القرآن، من ذلك (اللّغات في القرآن) رواية ابن حسنون المقرئ المصريّ، بإسناد إلى ابن عبّاس – رضي الله عنهما –[1]، وكتاب (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلّام[2]

وقد وردت إشارات كثيرة في كتب التّراث على اختلاف اهتماماتها باللّهجات العربيّة، كما وردت موضوعات خاصّة باللّهجات في كتب الأقدمين، ففي "الخصائص" لابن جنّي (ت:

[1] – اللّغات في القرآن الكريم، حقّقه ونشره: توفيق محمّد شاهين، مكتبة وهبة بالقاهرة، 1995.

[2] – ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، طبع مع تفسير الجلالين، دار القلم، 1966م.

392هـ) ورد في (باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً)[1]، و(باب في تركيب اللّغات)[2]، و(باب اختلاف اللّغات وكلّها حجّة)[3]، و(باب في العرب يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها، أم يلغيها ويطّرح حكمها)[4]

وفي "الصّاحبيّ" لابن فارس (ت: 395هـ) نجد الأبواب: (باب القول في اختلاف لغات العرب)[5]، و(باب اللّغات المذمومة)[6]، و(باب انتهاء الخلاف في اللّغات)[7]، وفي المزهر للسّيوطيّ، نجده قد خصّص النّوع العاشر لمعرفة الضّعيف والمنكر والمتروك من اللّغات[8]، والنّوع الحادي عشر لمعرفة الرّديء المذموم من اللّغات[9]، والسّادس عشر لمعرفة مختلف اللّغة[10]، والسّابع عشر لمعرفة تداخل اللّغة[11].

وفي العصر الحديث تمّت دراسة اللّهجات العربيّة، وازدهرت، على الرّغم من صعوبتها، فكانت أوّل دراسة للّهجات الرّسالة التي ألّفها المرحوم: حفني ناصف، بعنوان: "مميّزات لغات العرب، تخريج ما يمكن من اللّغات العامّيّة عليها، وفائدة علم التّاريخ من ذلك"، وقد ألقاها في

---

[1] – الخصائص: 271/1.
[2] – المصدر نفسه، 375/1.
[3] – المصدر نفسه، 12/2.
[4] – المصدر نفسه، 12/2.
[5] – الصّاحبيّ، ص: 28.
[6] – الصّاحبيّ، ص: 35.
[7] – الصّاحبيّ، ص: 67.
[8] – المزهر، 214/1.
[9] – المزهر، 221/1.
[10] – المزهر، 255/1.
[11] – المزهر، 262/1.

مؤتمر المستشرقين، الذي انعقد في "فيينّا" سنة 1886م، ثمّ جاءت بعد ذلك الدّراسة القيّمة لإبراهيم أنيس، تحت عنوان: "في اللّهجات العربيّة"، وتعدّ هذه الدّراسة مصدراً مهمًّا لكلّ من كتب عن اللّهجات في العصر الحديث.

فقد ألّفت رسائل جامعيّة خاصّة في اللّهجات العربيّة، وأهمّها جميعاً "اللّهجات العربيّة كما تصوّرها كتب النّحو واللّغة" لأحمد علم الدّين الجنديّ – دكتوراه سنة 1965م، وقد طبعت تحت عنوان: "اللّهجات العربيّة في التّراث"، وقد خصّص مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة للدّراسات اللّهجيّة لجاناً خاصّة، تضمّ عدداً كبيراً من المتخصّصين في هذا الشّأن، وما ذلك إلّا لأهمّيّة هذا النّوع من الدّراسات، كما خصّصت لها الجامعات المصريّة مساحات في مناهجها الدّراسيّة.[1]

ثانيا: عند الغربيّين

لم تلق الدّراسات اللّهجيّة عند الغربيّين اهتماماً يذكر، إلّا في نهاية القرن الثّامن عشر، حيث بدأت تدور بين العلماء «مناقشات تتعلّق بمستوى الصّواب اللّغويّ، وبمشكلة انقسام اللّغة إلى لهجات، ومشكلة اللّهجات الطّبقيّة»[2].

وعلى الرّغم من هذه المناقشات، إلّا أنّها لم تكن بالقدر الكافي، فقد كان العلماء في بداية القرن الثّامن عشر عازفين عن دراسة اللّهجات، وذلك للأسباب التّالية:

1 – اتّساع مجال البحث في اللّغة الفصحى، فلم يكن لديهم متّسع لدراسة اللّهجات.

[1] – محمّد أحمد خاطر، في اللّهجات العربيّة، مقدّمة للدّراسة، ص: 4.

[2] – ماريو باي، أسس علم اللّغة، ص: 231.

2 – نظرة العلماء في ذلك الوقت إلى دراسة اللّهجات على أنّها مصدر خطر على الأدب، ولذا ينبغي الاقتصار في الدّراسة على الفصحى.

3 – دراسة اللّهجات تتطلّب الأسفار والرّحلات؛ للوقوف على مصادرها من أصحابها، وذلك يتنافى مع طبيعة علماء اللّغة في ذلك الوقت؛ فقد كانوا يؤثرون الرّاحة.

ففي القرن التّاسع عشر «كانت النّتائج ذات قيمة كبيرة؛ حيث تركّز الاهتمام على الصّيغ اللّهجيّة، وعلى أنواع من الكلام، لم يكن ينظر إليها، حتّى تلك اللّحظة، إلّا أنّها لغات تافهة لا تستحقّ الدّراسة، وحيث إنّ اللّهجات لم تكن – من جميع جوانبها – مسجّلة في خلال تطوّرها التّاريخيّ، فقد أدّى هذا إلى توجّه الاهتمام إلى اللّغات الحيّة، ولهجاتها المتشبّعة»[1].

ثمّ واصلت دراسة اللّهجات تقدّمها في القرن العشرين، على هذا، فهي من العلوم الحديثة، يقول إبراهيم أنيس:«تعدّ دراسة اللّهجات من أحدث الاتّجاهات في البحوث اللّغويّة، فقد تمّت هذه الدّراسة بالجامعات الأوربّيّة خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين، حتّى أصبحت الآن عنصراً هامًّا بين الدّراسات اللّغويّة الحديثة، وأسّست لها، في بعض الجامعات الرّاقية، فروع خاصّة بدراستها، تعنى بشرحها وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتيًّا يبقى على الزّمن»[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ دراسة اللّهجات تقدّمت تقدّماً واضحاً في أواخر القرن التّاسع

[1] – المرجع السّابق، ص: 234-235.

[2] – أنيس إبراهيم، في اللّهجات العربيّة، ص: 9 – 10.

عشر وأوائل القرن العشرين، على يد مجموعة من علماء اللّهجات الغربيّين، من أمثال: "جاستون باريس"، و"أنطوان توماس" الفرنسيّين، و"كورنو" و"أسكولي" الإيطاليّين، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدّراسة "الأب روسلو"؛ الذي اهتمّ بالنّاحية الصّوتيّة في اللّهجات، و"جيليرون"؛ الذي درس اللّهجات من ناحيتها الدّلاليّة.

8 – علم اللّهجات واللّسانيات الجغرافيّة:

ما العلاقة بين علم اللّهجات واللّسانيات الجغرافيّة؟ الجواب على هذا السّؤال يحيلنا إلى ما ذكرناه سابقاً بخصوص علم اللّغة الجغرافيّ، والذي عرّفه الباحثون بأنّه لا يخرج عن فلك اللّغة العامّ، غير أنّه يختصّ بالتّوزيع الجغرافيّ أو الإقليمي لمختلف اللّغات واللّهجات، وهو ما يطلق عليه باللّاتينيّة "Area linguistique"، فموضوع هذا العلم هو دراسة اللّغات أو اللّهجات بحسب المكان، فهو: «فرع من فروع علم اللّغة، يبحث في تصنيف اللّهجات واللّغات، على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق بين هذه اللّهجات، ويسمّى أيضاً "جغرافيا اللّهجات"، أو "الجغرافيا اللّغويّة"geography Linguistics»[1]

يتّضح لنا – من خلال المصطلحات المتعدّدة السّابقة – أنّه في أغلبه تعدّد في المصطلح لعلم واحد، وهو ما يعطي هذا العلم اتّساعاً، بصعب حصر قضاياه، لذا لا نعجب من اختلاف الكتب والدّراسات التي تتحدّث عنه، غير أنّ هذا التّعدّد في الاصطلاح أو التّرجمة لا يؤثّر بشكل كبير في ماهية العلم ومحتواه.

[1]– مجلّة العلوم العربيّة والإنسانيّة، جامعة القصيم، مج: 6، ع2، ص: 669-715 (رجب 1434هـ / 2013).

وقد ربط بعض الباحثين بين هذا العلم و"علم اللّهجات" برباط وثيق، بل وذكروا أنّ العرب قد مارست الدّراسة الجغرافيّة للهجات القبائل في وقت مبكّر، وبالتّالي، فإنّ «أوّل علم منهجيّ ولسانيّ عرفه العرب هو اللّسانيات الجغرافيّة أوّلاً، وعلم اللّهجات ثانياً، ذلك أنّ ما لفت انتباههم من تكلّمات محلّيّة، على مستوى جبال وأودية وقرى وأرياف شبه الجزيرة العربيّة بكاملها، منذ العصر الجاهليّ، ومع مطلع العصر الإسلاميّ، هو الذي تولّد عنه علم اللّهجات»[1]

فالقصد هنا أنّ صنيع العرب مع اللّهجات العربيّة القديمة، في تهامة ونجد والحجاز، وغيرها هو بمثابة لسانيات جغرافيّة، لأنّ هؤلاء اللّغويّين والنّحاة، أثناء جمعهم للمادّة اللّغويّة، كانوا يقومون بتصنيفها إلى فصيحة وغير فصيحة، إلى لغة صالحة للاحتجاج وأخرى غير صالحة، إلى لغات مقبولة وأخرى شاذّة، وهذا التّصنيف يعتمد في أساسه على الجغرافيا، بين أهل الوبر وأهل الحضر، وبطبيعة الحال، فإنّ المقصود باللّغات هنا هو اللّهجات.

ويقصد بهذا أنّ اللّسانيات الجغرافيّة عند العرب سبقت ظهور علم اللّهجات؛ ذلك أنّ تحديد ميدان الدّراسة جغرافيًّا، والتّعرّف على بيئة كلّ قبيلة يكون أوّلاً، ثمّ يتمّ التّعرّف، بعد ذلك، على طبيعة الواقع اللّغويّ، أو اللّهجة المستعملة.

ويظهر جليّا علم اللّغة الجغرافيّ، عند العرب، أثناء تحديدهم للعربيّة الفصحى، فقد وردت بعض الرّوايات لأرباب اللّغة، منه قول الخليل: «أفصح النّاس "أزد السّراة" بينما كان أبو عمرو بن العلاء يقول: أفصح النّاس سافلة قريش وعالية تميم، ويحكى عنه أيضاً أنّه قال: أفصح الشّعراء

[1]– مرتاض، عبد الجليل، اللّسانيات الجغرافيّة في التّراث العربيّ، ص: 39.

لساناً وأعذبهم أهل السّروات، بينما كان يقول البعض الآخر: "كنّا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح النّاس تميم وقيس وأزد السّراة وبنو عذرة»[1]

ويمكن القول إنّ شروح اللّغويّين العرب في تحديد الحقل اللّغويّ للعربيّة الفصحى، من حيث التّنوّع الإقليميّ الذي تمثّلت به، ووصفت بأنّها لغة لقوم ما، حسب انتمائها الجغرافيّ، ليهدف إلى عمل أطلس لغويّ دون قصد منهم.

وليس هذا فحسب، بل نجد كذلك علماء التّفسير المتقدّمين يعتمدون، في تفسيرهم لبعض الكلمات الغامضة، على العامل الجغرافيّ، إضافة إلى كتب "الغريب"، فإنّهم كانوا يحيلون كلّ لفظة إلى معاني تختلف باختلاف القبائل، ناهيك عن كتب الأضداد، التي اهتمّت بذكر الألفاظ التي تفهم على وجهين متضادّين، إضافة إلى كتب النّوادر،وسنورد بعض الأمثلة:

1 – ما جاء في "تفسير القرطبيّ"، حيث كان يعزو الألفاظ إلى بعض القبائل، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود﴾[2] ، «وقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال: "الكنود" بلسان "كندة" و"حضرموت": العاصي، وبلسان "ربيعة" و"مضر": الكفور، وبلسان "كنانة": البخيل»[3].

2 – ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون﴾ [4]. «قال ابن عبّاس:

[1]– مرتاض، عبد الجليل، المرجع السّابق، ص: 39-40.

[2]– العاديات: 6.

[3]–

[4]– الواقعة: 82.

تجعلون شكركم التّكذيب. وذكر الهيثم بن عديّ: أنّ من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان؟ أي: ما شكره»[1]

3 – ما ذكره الفرّاء في كلمة "شاء"، وأنّ إعرابها يختلف باختلاف لهجات القبائل، فقد أورد في تحليله للآية الكريمة وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ قوله: «أهل الحجاز يفتحون "شاء" وما كان مثلها من الياء وذوات الياء والواو، فيقولون: شاءَ، وجاءَ، وخافَ، وطابَ، وكادَ، وزاغَ، وزاغوا. وعامّة أهل نجد من "تميم"، و"أسد"، و"قيس"، يشيرون إلى الكسر في ذوات الياء، مثل هذه الحروف، ويفتحون في ذوات الواو، مثل: قالَ، وحالَ»[2]

4 – كلمة "سامدون" في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[3]، «فالسّامد في كلام أهل اليمن، اللّاهي، والسّامد في كلام طيّئ: الحزين»[4]

* وذكر القرطبيّ في "تفسيره" للآية نفسها، عن لفظة "سامدون": «لاهون معرضون ... وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة "حِمْير"، يقال: سَمِّدْ لنا، أي غنّ لنا»[5]

5 – وقال قطرب[6]: المعْصِر حرف من الأضداد، فهو في لغة قيس وأسد: التي دنت من الحيض؛

[1]– القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج: 20، ص: 225.

[2] – الفرّاء، لغات القرآن، ص: 17.

[3]– النّجم، 61.

[4]– ابن الأنباريّ، الأضداد، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: 43.

[5]– القرطبيّ، المصدر السّابق، ج: 20، ص: 68.

[6]– محمّد بن المستنير بن أحمد، أبو عليّ المتوفّي (206هـ / 821م)، مولى سالم بن زياد، يعرف بقطرب، كان عالماً بالنّحو واللّغة، أخذ عن سيبويه، وعن غيره من البصريّين، وكان يأتي المجلس باكراً، فقال له سيبويه: ما أنت إلّا قطرب ليل، (اسم دويبة تدبّ ولا تفتر)، من مؤلّفاته: الاشتقاق – النّوادر – الأزمنة – الفرق – الأصوات – الصّفات – ... كما وضع

وهو في لغة الأزد: التي ولدت أو تعنّست[1]

6 – ما ذكره الفرّاء في اللّغات واختلافها في لفظ "أمّا"، «لغة العرب جميعاً بتشديد "أمّا"، وكثير من بني عامر وتميم يقولون، أيْمَا فلان فذهب»[2]

فنلاحظ أنّ أهل اللّغة والتّفسير وكتب الغريب والمعاجم جميعهم، يحيلون الاختلاف اللّهجيّ إلى القبائل، بذكر ما يميّز كل مجموعة من القبائل عن غيرها من المجموعات، لأنّه قد تشترك قبيلتان أو أكثر في نطق الاسم أو الصّيغة الصّرفيّة، ويكون ذلك عادة لتقاربهما الجغرافيّ، وكلّما تباعدت القبائل اتّسعت دائرة الاختلاف اللّهجيّ، لذلك نجد أبا عمرو بن العلاء يقول: (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيّتهم بعربيّتنا)

وإذا تتبّعنا كتب اللّغة والمعاجم نجد مادّة لا يستهان بها في الدّرس اللّهجي وفق نطاقات جغرافيّة، ممّا يدعم ما ذكره مرتاض حول "علم اللّغة الجغرافيّ عند العرب"، ففي قول "أبي عمرو بن العلاء" إشارات جغرافيّة متعلّقة باللّهجات، ولا نفهم من ذلك أنّ اللّغة العربيّة في شمال شبه الجزيرة العربيّة تختلف عنها في شمالها، (اليمن على وجه الخصوص)، بل هي عربيّة واحدة ولهجتان، تختلفان اختلافاً يكاد يكون كلّيًّا، لكنّه لا يخرج بأيّ حال من الأحوال عن لغة القرآن الكريم. فقد يفهم أهل شمال الجزيرة،كلام "حمير".

المثلّثات في اللّغة (ترجمته في طبقات النّحويّين واللّغويّين، ص: 69-70 – شذرات الذّهب، ج2، ص: 15 – بغية الوعاة، ج1، ص: 242-243...)

[1]– ابن الأنباريّ، الأضداد، ص: 216-217.

[2]– الفرّاء، لغات القرآن، ص: 37.

وفي الدّراسات اللّغويّة الحديثة وقع التّمايز بين اللّسانيات الجغرافيّة وعلم اللّهجات، دون أن تُقطع الصّلة بينهما، لأنّ العلاقة قائمة بالضّرورة، فالاختلاف اللّهجيّ متعلّق بالاختلاف الجغرافيّ، وقد خصّص "دي سوسير" في كتابه "دروس في الألسنيّة العامّة" الفصل الرّابع، للحديث عن الألسنيّة الجغرافيّة، حيث تكلّم فيه عن "تشعّبات التّنوّع الجغرافيّ للّغات"، و"أسباب تنوّع اللّغات جغرافيًّا، والذي أرجعه إلى عامل الزّمان

يقول سوسير: «ولنتساءل عمّا قد يحدث لو أنّ لغة يتكلّمها أناس في نقطة معيّنة، واضحة الحدود، هي جزيرة مثلاً، نقلها معمّرون إلى نقطة معيّنة واضحة الحدود أيضاً هي جزيرة أخرى. فبعد مضيّ حقبة من الزّمن، سنرى أنّه قد ظهرت بين اللّغة في موطنها الأوّل (م)، وفي موطنها الثّاني (م1) فروق متنوّعة في المعجم والنّحو والنّطق»[1].

خلاصة الفصل

بعد استقراء لمختلف المفاهيم الواردة في هذا الفصل، والتي تمحوزت كلّها حول العلاقة بين اللّسانيات والجغرافيا، أمكننا الخروج بالنّقاط التّالية:

- ❖ مرّت الدّراسات اللّسانيّة بمراحل مختلفة، توّجت في نهاية المطاف بظهور علم قائم بذاته يسعى لدراسة اللّغة وفق أسس علميّة قابلة للملاحظة والتّجريب.
- ❖ عرفت الدّراسات اللّسانيّة جهود طائفة من العلماء في كلّ من ألمانيا وإنجلترا وفرنسا

[1]– دي سوسير، فردينان، دروس في الألسنيّة العامّة، ص: 294.

وسويسرا، وغيرها من البلدان، أمثال "بوب" و"دي سوسير" و"ليونارد بلومفيلد" و"ماكس موللر"، و"مارتينيه"، و"رومان جاكبسون" وغيرهم.

- ❖ علم اللّغة الجغرافيّ فرع من فروع علم اللّغة، يبحث في تصنيف اللّهجات واللّغات على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق بين هذه اللّهجات.
- ❖ بدأت فكرة عمل الأطلس اللّغوي في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، وهو يساعدنا في معرفة مدى انتشار اللّهجات في نطاقات جغرافيّة معيّنة، وتتبّع تأثيراتها، وتطوّر مفرداتها وتراكيبها، وغير ذلك.
- ❖ لعلم اللّغة الجغرافيّ أهمّيّة كبيرة؛ إذ إنّه يمدّنا بمختلف المعلومات حول انتشار اللّغات أو اللّهجات، مع إحصاء عدد المتكلّمين بكلّ لغة حول العالم، ومجالات تفوّق بعضها على البعض الآخر، الاهتمام بمشكلة التّعايش السّلميّ بين لغتين أو أكثر، في مكان واحد، أو احتكاكها، وتبادل التّأثير والتّأثّر بينها.

وفي ختام هذا البحث، يمكننا الخروج ببعض النّتائج، والملاحظات المتعلّقة باللّسانيات الجغرافيّ وعلاقتها بالدّرس اللّهجيّ، ويمكن إجمالها في النّقاط التّالية:

- ❖ اهتمّ القدماء من العرب وغيرهم من الأمم بالدّراسات اللّغويّة، وكانت دراستهم تقوم على الملاحظة والسّماع، وتسجيل ما يسمعون، مع ملاحظة أنّ جامعي اللّغة العرب كانوا ذوي فصاحة، ممّا جعلهم أصحاب ملكة تمكّنهم من التّمييز بين الكلام العربيّ الفصيح، وبين الدّخيل من الألفاظ، إضافة إلى اعتمادهم على ضوابط صارمة في جمع اللّغة.
- ❖ عرفت الدّراسات اللّسانيّة تطوّراً ظهرت بواده منذ بدايات القرن التّاسع عشر، ليكتمل نموّه بعد جهود العالم السّويسريّ فردينا ندي سوسير، الذي خلّص البحث اللّغويّ من الدّراسة التّاريخيّة الدّياكرونيّة، وأرسى قواعد علميّة له.
- ❖ كانت الدّراسات اللّهجيّة محلّ اهتمام من لدن اللّغويّين والنّحاة العرب القدماء، وإن لم يتلفّظوا بكلمة "لهجة"، فالشّائع عندهم ذكر كلمة "لغة" مقترنة باسم القبيلة، وعلى كلّ فإنّهم تركوا لنا مادّة لهجيّة لابأس بها، ضمّنوها بطون كتبهم، سواء كانت عامّة ك"الحيوان" للجاحظ، و"الخصائص" لابن جنّيّ، أم متخصّصة ككتب لغات القبائل، والتي ألّف فيها كلّ من يونس بن حبيب، والفرّاء، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاريّ، وابن دريد، والأصمعي، وأبو عبد القاسم بن سلّام.
- ❖ تعرّف اللّهجة عند المحدثين بأنّها مجموعة من الصّفات اللّغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات.

❖ اللّهجة هي ما كان يطلق عليه باللّغة، أو اللّسان، واللّهجات تتماير تبعاً للبيئات المختلفة، ومن تعاريف اللّهجة أنّها مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وهذا ما يجعل منها "لغة محلّيّة" قد تتّسع رقعة استعمالها وقد تضيق.

❖ علم اللّغة الجغرافيّ فرع من فروع علم اللّغة، في تصنيف اللّغات واللّهجات، على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق بين اللّهجات، حيث يدرس هذا العلم اللّغات أو اللّهجات التي يتكلّمها السّكّان في منطقة معيّنة، كما يدرس التّوزيع الإقليميّ للّهجات.

❖ قام دي سوسير بحصر العوامل التي تؤدّي إلى التّنوّع الجغرافيّ في اللّسان واللّهجة، وهي: الزّمن وتأثيره في المناطق لأنّ اللّهجات في تطوّر وتغيّر مستمرّين – صعوبة رسم حدود معلومة للّغة أو اللّهجة، حيث نجد بعض اللّغات داخل حيّز جغرافيّ صغير يحيط به حيّز أكبر للغة أخرى مختلفة عنها تمام الاختلاف.

والحمد لله ربّ العالمين

مـــلـــحـــق

تمهيد:

في هذا الملحق نحاول أن نتعرّف على أصول بعض الكلمات التي نستخدمها في حياتنا اليوميّة، في اللّغة العربيّ الفصيحة، وذلك بغية إثبات أنّ اللّهجات العامّيّة – على تنوّعها – لا تمثّل قطيعة لغويّة مع اللّغة الأم، وإنّما تعتبر أوجهاً لها، كما كانت اللّهجات العربيّة القديمة أوجها أو صوراً للعربيّة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن دلائل ذلك أنّ للمفردة الواحدة مترادفات عديدة، مستخرجة من تلك اللّهجات. وبالتّالي، فإنّ الاختلاف في التّسمية بين منطقة وأخرى هو جزء من ذلك التّنوّع اللّغويّ.

كما لا ننكر أنّ جزءاً من تلك المفردات الموروثة عن العربيّة الفصيحة قد مسّه تغيير في دلالته، من العموم إلى الخصوص أو العكس، لأنّ المفردات في اللّغة تمرّ بمراحل تطوّر تؤثّر في معناها جزئيًّا أو كلّيّاً، تبعاً لتداولها في نطاقات جغرافيّة متنوّعة، لدرجة أنّه يتعذّر على سكّان بعض المناطق فهم مفردات مناطق أخرى ضمن نطاق جغرافيّ معيّن، قد يكون بلداً كالجزائر، أو مجموعة بلدان، كالمغرب العربيّ أو المشرق أو الخليج.

وسيكون اختيارنا للمفردات ضمن الحقول الآتية: حقل الملابس – حقل المأكولات – حقل الأواني – حقل الخضر والفواكه – حقل الصّفات.

أوّلاً: حقل الملابس

برنوس: بفتح الباء وسكون الرّاء، يطلق على الثّوب المصنوع بالخيوط الصّوفيّة، أو من مادة أخرى، كان يلبسه الرّجل في القديم، ولا يزال موجودا، بل وتلبسه المرأة أيضا في بعض المناسبات، وهذه الكلمة – وإن كانت تستعمل في العامّيّة الجزائرية وغيرها – موجودة بل ومعروفة في اللّغة الفصيحة، حيث جاء في لسان العرب: «الْبُرْنُسُ كُلُّ ثَوْبٍ رَأْسُهُ مِنْهُ مُلْتَزِقٌ بِهِ، دُرَّاعَةً كَانَ أَوْ مِمْطَراً أَوْ جُبَّة»[1]

وفي الصّحاح: «الْبُرْنُسُ قُلَنْسُوَةٌ طَوِيلَةٌ، وَكَانَ النُّسَّاكُ يَلْبَسُونَهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ تَبَرْنَس الرَّجُلُ، إِذَا لَبِسَه»[2]

وفي الحديث: «عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – سُئِل: ما يلبس المحرم من الثّياب؟ فقال: لا تلبسوا القمّص، ولا العمائم، ولا السّراويلات، ولا البرانس، ولا الخفاف»[3]

فالبرنس – إذن – لباس معروف منذ القديم، كما أنّ اللّفظ معروف هو الآخر، وقد تداوله المؤلّفون، وأصحاب المعاجم والتّاريخ، ممّا يعني أنّ "كلمة برنوس" التي نستعملها في عامّيّتها هي في أصلها عربيّة فصيحة، وإن اختلفت مفاهيمها في بعض الأحيان، «وقد كان المماليك في مصر

[1] – ابن منظور، جمال الدّين بن مكرم، لسان العرب، 26/6.
[2] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 91.
[3] – صحيح مسلم، باب الإحرام، وما يتعلّق به.

يرتدون البرنس فوق ثيابهم، وكذلك كان الأندلسيّون يرتدون البرنس، وله لوزة مفرغة من خالص التّبر مرصّعة بالجوهر والياقوت»[1].

شَّاشِيَّة: ومن الألفاظ التي نستعملها في حقل الألبسة، كلمة "شاشيّة"، هي قبعة رجالية تلبسها العديد من الشعوب الإسلامية. تدخل الشاشية ضمن اللباس التقليدي التونسي، وفي تونس سوق خاص بإنتاج الشّواشيّ، فهي ممّا يوضع على الرّأس، مثل القبّعة، مهما كان لونها، وهي كلمة عربيّة فصيحة، مولّدة من الأصل الهندي "شاش"[2]، « والشّاشيّة أيضاً هي الطّاقية التي توضع على الرّأس، والتي تلفّ حولها قطعة قماش لتتكوّن العمامة على هذا المنوال، والشّاشيّة منسوبة إلى الشّاش، وهو النّسيج الحريريّ أو القطنيّ الذي كان يصنع في بلدة شاش بالهند، والجمع شواشي»[3]

عباية: لفظ ينطق بقلب الهمزة ياءً، يدلّ على ثوب واسع طويل يكون مفتوحاً من الأمام، مطرّز من الحوافّ الأماميّة، تختلف مادّة صنعه ما بين قشّ، أو خيوط، أو حرير، وتستسعمل الكلمة في العديد من المناطق بالمغرب العربيّ، وهي لباس رجاليّ، تكون غالباً فوق ثوب آخر (تلبس غالباً في الصّيف، أو في المناسبات الدّينيّة، وهي مختلفة الألوان، وأشهرها العباية البيضاء، كما أنّ هناك العباية التي أنّها تلبسها النّساء، وقد وردت الكلمة في معاجم اللّغة منها قولهم: «وَالْعَبَايَةُ ضَرْبٌ مِنَ

[1]- إبرهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربيّ لأسماء الملابس، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2002، ص: 62.

[2] - والشاشية هي الطربوش التقليدي، التي يرجع اسمها حسب بعض المراجع التاريخية إلى النعت المشتق من "شاش"، وهو الاسم القديم لمدينة "طشقند" عاصمة جمهورية أوزبكستان، وإحدى القواعد العامرة في ما كان يُعرف ببلاد ما وراء النهر إبان الفتوحات الإسلامية لوسط آسيا.

[3] - المرجع نفسه، ص: 252.

الْأَكْيِسَةِ وَاسِعٌ فِيهِ خُطُوطٌ سُود كِبَار، والْجَمْعُ عَبَاء، وَفِي الْحَدِيثِ: (لِبَاسُهُمُ الْعَبَاء)»[1].

جِبَة: نوع من اللّباس، تدلّ في العامّيّة على معنى خاصّ، وهو لباس للمرأة فقط، لكنّها في الفصحى تدلّ على نوع من اللّباس للرّجل والمرأة معاً، يقول ابن منظور: «وَالْجُبَّةُ ضَرْبٌ مِنْ مُقَطَّعَاتِ الثِّيَابِ تُلْبَس، وَجَمْعُهَا جُبَبٌ وَجِبَاب»[2]

كما ذكرها الزّبيديّ بقوله: «والجُبَّةُ بِالضّمّ ثَوْبٌ مِنَ الْمُقَطَّعَاتِ يُلْبَس»

«وكانت الجبّة حلّة طويلة قصيرة الأكمام، تبطّن بالفراء في الشّتاء، وكانت الجبب من الحرير اللّبد، تلبس بالأندلس في عهد القتال»[3].

قمجّة: وهي لباس معروف له أزرار تتراوح بين السّتّة والسّبعة، وهي في الغالب لباس رجاليّ، غير أنّ النّساء يلبسنه أيضاً، يطلق عليه في عندنا بالقميص في التّعبير الفصيح، والجمع قمصان، أمّا عن الجذر اللّغويّ للكلمة فهو (كمج)، «وَالْكَمَجُ طَرَفُ مُوصِلِ الْفَخِذِ فِي الْعَجُز»[4]

قال طرفة:

وَبِفَخْذِي بَكْرَةٌ مَهْرِيَّةٌ مِثْلَ دِعْصِ الرَّمْلِ مُلْتَفُّ الْكَمَجْ[5]

[1] – النّحّاس هشام، معجم فِصاح العَامِّيَّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص: 428.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص: 64.

[3] – إبرهيم رجب عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 105.

[4] – ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص: 352.

[5] – الأزهريّ، أبو منصور، محمّد بن أحمد، تهذيب اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، د.ط، د.ت، ج:7، ص: 412.

جلباب: بكسر الجيم، وسكون اللّام، هو الثّوب الطّويل الواسع، والمكتمل في كلّ أجزائه، تلبسه المرأة، فيستر جميع أجزاء جسمها، ويكون قطعة واحدة، وهذا اللّفظ عربيّ فصيح، إذ نجد له أصلاً في معظم المعاجم وبعض الأشعار، من ذلك مثلاً ما ورد في لسان العرب: «وَالجِلْبَاب: الْقَمِيصُ، وَالْجِلْبَابُ ثَوْبٌ أَوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ، دُونَ الرِّدَاءِ، تُغَطِّي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا وَصَدْرَهَا، وَقِيلَ: هُوَ ثَوْبٌ وَاسِعٌ، دُونَ الْمِلْحَفَة، تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ، وَقِيلَ هُوَ الْمَلْحَفَة»[1].

جاء في التّنزيل الحكيم: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾[2]

قَالت جنوب أخت عمرو بن ذي الكلب ترثيه:

تَمْشِي النّسّورّ إِلَيْهِ وَهْيَ لَاهِيَةٌ مَشْيَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ[3]

وقال المتنبّي:

مَنِ الْجَآذِرُ فِي زَيِّ الْأَعَارِيبِ حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ[4]

وكثيراً ما تتداخل التّسميات العامّيّة المتعلّقة بالملبس وغيره، فنجد لفظة تدلّ على لباس في منطقة ما، بينما يدلّ في غيرها على لباس آخر، كما نجد في العامّيّة مفردات متقاربة المعنى، بمعنى أنّها

[1] – ابن منظور، مرجع سابق، ج1، ص: 272.

[2] – الأحزاب: 59.

[3] – الزّبيدي: محمّد مرتضى الحسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، 1965، ج2، ص: 175، ولسان العرب، ج1، ص: 272.

[4] – المتنبّي، أحمد بن الحسين، الدّيوان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، 1983، ص: 448.

تعبّر عن شيء واحد، ومن ذلك:

قندورة: وهي تدلّ على العباءة التي يلبسها الرّجال، والجمع "قنادر" أو "قناديل"، ويصنع من الصّوف أو الوبر، أو الحرير، والقندورة تشبه "القشّابيّة" (الجلابة)، كما تطلق على الملحفة أو الملاية عند النّساء، يذكر صاحب "الصّروف" أنّ «المرأة تلبس منه ثوباً يسمّى ملحفة وهي الملاية والرّيطة، وذات اللّفّتين، ثمّ زاد الرّجال ثوباً آخر، يلبسونه فوق الأوّل، ويسمّى قندورة أو قدّورة، وهي الأزرة والدّثار والجبّة»[1]

«وقد وردت عند ابن إياس في بدائع الدّهور، يقول عن شجرة الدّرّ لما تولّت السّلطنة بمصر، وألبسوها خلعة السّلطنة، وهي قندورة مخمل مرقومة بالذّهب، وجمعت عنده على قناديل»[2].

سبّاط: تنطق بالسّين المفخّمة، أو بالصّاد، وتطلق كلمة سبّاط على الحذاء بشكل عامّ، سواء كان مصنوعا من الجلد أو من غيره، وقد ذكر أنّه مشتقّ من "السِّبْت"، بكسر السّين، وسكون الباء، وكلمة س"سبتة" مستعملة – هي الأخرى بمعنى الحزام أو الحلقة الموجودة في النّعال: حيث قلبت التّاء طاءً، وأصل "السّبت": «جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منه النّعال السّبتيّة، وكلّ مدبوغ فهو سبت، مأخوذ من السّبت، وهو الحلق وفي الحديث : أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه؛ فقال: يا صاحب السِّبتين، اخلع سِبتيك»[3]،

[1] – العوامر، إبراهيم محمّد السّاسي، الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، منشورات ثالة، الأبيار، 2007، ص: 96.
[2] – إبرهيم رجب عبد الجواد، مرجع سابق، ص: 406.
[3] – المرجع نفسه، ص: 223.

وقيل أنّ أصلها من اليمن، وهي لباس الملوك، من ذلك قول "عنترة" يصف رجلاً بالنّبل وتمام الخلق:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[1]

سِرْوَال: السّروال هو اللّباس المعروف، والذي يرتديه الرّجال في الغالب الأعمّ، منه ما يكون عريضا، ومنه ما يكون ضيّقاً، ويصنع من الجينز أو من القماش بأنواعه، وللكلمة أصل في العربيّة الفصيحة، حيث وردت في القرآن الكريم بلفظ "سربال"، ومن الواضح أنّ الباء قلبت واواً في التّعبير العامّيّ، والسّربال لها معنى عامّ يشمل كلّ ما يلبس، سواء كان قميصاً أو درعاً أو غيرهما. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[2]

والسّروال مفرد وجمعه سراويل، وجمع الجمع سراويلات، المذكورة في حديث سابق، جاء في معجم اللّغة المعاصرة تعريف للسّروال بكونه «لباس يغطّي الجسم من السّرّة إلى الرّكبتين أو إلى القدمين (يذكّر ويؤنّث)»[3]

قشّابيّة: القشّابيّة كلمة عامّيّة تعني لباساً خاصًّا بالرّجال، وهو (الجلّابة) التي غالباً ما تلبس في

[1] – ابن شدّاد، عنترة، شرح ديوان عنترة للخطيب التّبريزيّ، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط1، 1992، ص: 177.

[2] – النّحل: 81. وجاء في التّفسير أنّ سرابيل الأولى تعني: الثّياب من القطن والكتّان والصّوف، وسرابيل الثّانية تعني: الدّروع من الحديد المصفّح والزّرد وغير ذلك.

[3] – عمر أحمد مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج2، ص: 1062.

فصل الشّتاء، وتكون مصنوعة من الصّوف الخالص، وقد وردت اللّفظة في معاجم اللّغة بمعنيين، الأوّل يعني خلط الشّيء بالطّعام، ومنه القِشب وهو السّمّ القاتل[1]، أمّا الثّاني، وهو الذي يهمّنا، فأصله «القَشِّيب: الْجَدِيدُ مِنَ الثِّيَابِ، وَغَيْرِهَا. وَالْقَشِيبُ: السَّيْفُ الْحَدِيثُ الْعَهْدِ بِالْجِلَاءِ»[2].

وذكر صاحب الصّروف أنّ "القشّابات"، لباس يغلب على أهل الصّحراء من بني ميزاب حتّى صارت طابعاً لهم، ويعرّفها بأنّها «جمع قشّابة، كالقندورة، إلّا أنّ لها طربوشاً وكُمّين، وفي الغالب تكون من صوف وحده بعضه أبيض وبعضه أسود، وقد تكون معلّمة بالقطن أم [كذا] تكون من صوف أبيض لا غير»[3]

ثانياً: حقل المأكولات

دقيق: بسكون الدّال، لفظ عامّيّ يدلّ على الفرينة التي يصنع منها الخبز، أو تستعمل في فتل الكسكسيّ، وفي بعض الأحيان يتمّ الخلط بينها وبين السّميد في التّعبير، فيقال دقيق ويقصد السّميد، والدّقيق مأخوذ من الدّقّة في الطّحين، والكلمة عربيّة فصيحة، مذكورة في كتب اللّغة والمعاجم، جاء في لسان العرب: «والدّقيق: الطّحن، والدّقيقيّ بائع الدّقيق ... والدّقيق: الذي لا غلظ له خلاف الغليظ»[4].

الدّهان: وهو المعروف في العامّيّة بالزّبدة التي تستخرج من حليب الضّأن أو البقر بعد الرّجّ، وتركه

[1] – من ذلك ما أورده ابن فارس في مقاييس اللّغة، ج5، ص: 90.
[2] – ابن فارس، المصدر السّابق، ص: 90.
[3] – العوامر، إبراهيم محمّد السّاسي، مرجع سابق، ص: 105.
[4] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 10، ص: 101.

مدّة من الزّمن حتّى يتحوّل إلى "دهان"، ويوضع كعلاج لعدّة أمراض منها الصّدر والرّأس، وفي الفصحى مشتقّ من الجذر دهن، فنقول: «دَهَنَ رَأْسَهُ وَغَيْرَهُ يَدْهَنُهُ دَهْناً: بَلَّهُ، والاسْمُ الدُّهْنُ، وَالْجَمْعُ أَدْهَانٌ وَدِهَان»[1]

أمّا في الاصطلاح الحديث فالدّهان هو الدّهن، التي جمعها أدهان ودُهون، وهي: «مَادَّةٌ زَيْتِيّةٌ دَسِمَةٌ فِي الْحَيَوَان، جَامِدَةٌ فِي دَرَجَةِ الْحَرَارَةِ الْعَادِيَّةِ، فَإِذَا سَالَتْ كَانَتْ زَيْتاً، وَهُوَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ الضَّرّورِيَّةِ لِلْأَجْسَامِ، لِأَنَّهُ يَمُدُّهَا بِالْحَرَارَةِ اللَّازِمَة»[2].

رْفيس: كلمة عامّيّة تعني أكلة تقليديّة مصنوعة من السّميد الخشن، المقليّ مع التّمر المهرّس أو المطبوخ، كما يضاف إليه السّمن، وأفضله ما مزج مع الدّهان الطّبيعيّ، وللكلمة أصل عربيّ فصيح، يدلّ على الضّرب بالرّجل على الصّدر أو الدّقّ أو الهرس، وذلك في لسان العرب: «قَالَ اللَّيْث: الرَّفْسَةُ الصَّدْمَةُ بِالرِّجْلِ فِي الصَّدْرِ، وَرَفَسَهُ يَرْفُسُهُ وَيَرْفِسُهُ رَفْساً: ضَرَبَهُ فِي صَدْرِهِ، وَدَابَّةٌ رَفُوسٌ، إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ، والاسْمُ الرِّفَاسُ، وَالرَّفِيسُ، وَالرُّفُوس، وَرَفَسَ اللَّحْمَ وَغَيْرَهُ مِنَ الطَّعَامَ رَفْساً: دَقَّه»[3]

كْسْرَة: كلمة تدلّ على نوع من الخبز دائريّ الشّكل في العامّيّة، وبالمعنى نفسه في اللّغة العربيّة، نجد ذلك مثلا في لسان العرب إذ يقول: «وَفِي حَدِيثِ الْعَجِينِ: قَدِ انْكَسَرَ، أَيْ لَانَ وَاخْتَمَر.

[1] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 13، ص: 160.
[2] – عمر أحمد مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ج: 1، ص: 779.
[3] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 6، ص: 100.

وَكُلُّ شَيْءٍ فَتَرَ، فَقَدِ انْكَسَر؛ يُرِيدُ أَنَّهُ صَلَحَ لِأَنْ يُخْبَز»[1].

والكسرة أكلة مكوّنة من دقيق سواء كان شعيراً أو قمحاً، بخميرة أو بدونها، وهي معروفة لدى سكّان البوادي والأرياف، ويقابلها لفظ "رغيف" في المدن، فيقال: رغيف خبز، وقد عرّفها الخليل بقوله: «الْكِسْرَةُ قِطْعَةُ الخُبْز»[2].

خبز ملّة: يطلق لفظ الملّة في العامّيّة على الخبز الذي يصنع في الملّة، ومعناها: الرّماد الحارّ والجمر، «وَيُقَالُ: أَكَلْنَا خُبْزَ مَلّةٍ، وَلَا يُقَالُ أَكَلْنَا مَلَّة، وَمَلَّ الشّيْءَ فِي الْجَمْرِ يَمُلُّهُ مَلًّا، فَهُوَ مَمْلُولٌ وَمَلِيلٌ: أَدْخَلَه ... وَيُقَالُ: هَذَا خُبْزُ مَلَّةٍ، وَلَا يُقَالُ لِلْخُبْزِ مَلَّة»[3].

وفي قصيدة كعب ابن زهير[4]:

يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِماً كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالنَّارِ مَمْلُولُ

اللّبأ: وهو الحليب الذي يخرج من الشّاة بعد وضع مولودها، على شكل حليب خاثر، وأحياناً يتشكّل في قطع صغيرة، والكلمة عامّيّة لها جذور في اللّغة الفصيحة، منها ما جاء في:

العين: «اللّبَأُ، مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ، أَوَّلُ حَلْبٍ عِنْدَ وَضْعِ الْمُلَبِّئ، وَتَقُولُ: لَبَأَتِ الشَّاةُ وَلَدَهَا: أَرْضَعَتْهُ

[1] – المصدر نفسه، ج: 5، ص: 139.

[2] – الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السّامرّائيّ، ج5، ص: 307.

[3] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 11، ص: 629.

[4] – كعب بن زهير، الدّيوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997، ص: 64.

اللَّبَأَ، وَهِيَ تَلْبَؤُه ...»[1]

الصّحاح: «اللِّبَأُ عَلَى فِعَلٍ، بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ: أَوَّلُ اللَّبَنِ فِي النِّتَاجِ، تَقُولُ: لَبَأْتُ لَبْأً بِالتَّسْكِينِ، إِذَا جَلَبْتَ الشّاةَ لِبَأً، وَلَبَأْتُ الْقَوْمَ أَيْضاً: أَطْعَمْتُهُمُ اللَّبَأ»[2]

تاج العروس: «قَالَ أَبُو زَيْد: أَوَّلُ الْأَلْبَانِ اللَّبَأُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ثَلَاث حَلَبَاتٍ، وَلَبَأَ اللَّبَأَ يَلْبَؤُهُ لَبَأً، أَصْلَحَهُ وَطَبَخَه»[3].

وهذا دليل على أنّ هذه الكلمة العامّيّة بقيت محافظة على أصلها العربيّ الفصيح في الاستعمال، وبقيت إلى يومنا تستعمل في الحياة اليوميّة بنفس معناها المذكور.

ثالثاً: حقل الأواني

قصعة: كلمة معناها الإناء المصنوع من الألمنيوم أو من مادّة الطّين، ولها أحجام مختلفة، وهي ذات شكل دائريّ، وهي أكبر من الصّحن، ولها استخدامات متعدّدة، والكلمة فصيحة موجودة في كلام العرب، ولم يتغيّر لا لفظها ولا معناها، ومن الأمثلة على وجودها في لغة العرب ما نجده في الصّحاح: «الْقَصْعَةُ مَعْرُوفَةٌ، وَالْجَمْعُ قِصَعٌ وَقِصَاع»[4]

[1] – الفراهيدي، الخليل بن أحمد، مصدر سابق، ج:8، ص: 341.
[2] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 1021.
[3] – الزّبيديّ، تاج العروس، من جواهر القاموس، ج1، ص: 416.
[4] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 946.

وفي معجم اللّغة المعاصرة: «وِعَاءٌ كَبِيرٌ يُتَّخَذُ لِلْأَكْلِ، وَكَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْخَشَبِ غَالِباً»[1]

مُغـرُف: بضـمّ المـيم والـرّاء، هـي الأداة المعروفـة للأكـل، وهـي ذات أحجـام مختلفـة، حسـب الاستعمال، وتصنع عادة من الألمنيوم، كما قد تصنع من موادّ أخرى كالخزف والخشب، وحتّى البلاستيك، تستعمل في المطبخ، مصاحبة للأكل، لها شكل طويل ينتهي بجوف صغير بغرف به، ويطلق عليها "الملعقة"، لكنّ إذا بحثنا في لفظها العامّيّ وجدنا أنّ له أصلاً في العربيّة، وقد وردت اشتقاقات الفعل "غرف" في القرآن الكريم، وكلام العرب، ومنه جاءت التّسمية، قال تعالى: ﴿ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده﴾[2]، وجاء في الصّحاح: «وَالْمِغْرَفَةُ مَا يُغْرَفُ بِهِ»[3]

المقلة: وهي الأداة التي تستعمل في القلي، ويكون شكلها دائريّا، تلتصق بها اليد التي تساعد على تحريكها، والكلمة عربيّة في الأصل، رغم استعمالها في الحياة اليوميّة، ممّا يدلّ على حفاظ اللّغة على أصولها في الاستخدام، وبقاء بعض مفرداتها في العاميّات المختلفة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصّحاح: «قَلَيْتُ السُّوَيْقَ وَاللَّحْمَ فَهُوَ مَقْلِيٌّ ... وَالْمِقْلَاةُ وَالْمَقْلَى: الذِي يُقْلَى عَلَيْه، وَهُمَا مِقْلَيَانِ، وَالْجَمْعُ الْمَقَالِي»[4].

جفنـة: الجفنة جمعها جفان، وهي القدور أو القصاع المخصّصة للطّعام، وفي القرآن الكريم:

[1] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج2، ص: 1225.
[2] – البقرة: 149.
[3] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 845.
[4] – المصدر نفسه، ص: 960.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُود شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾[1]

شكوة: تدلّ في العامّيّة على ما يصنع من جلد الغنم، للحصول على اللّبن، بعد خضّ الحليب ليصبح رائباً، كما أنّها تستعمل للسّقي وتبريد الماء، وفي بعض الأحيان تدبغ بالعرعار، أو تدهن بالقطران، الذي يتميّز برائحته القويّة مع الماء البارد، ولهذه الكلمة أصل في اللّغة الفصيحة، حيث وردت الكلمة في لسان العرب، في قوله: «وَالشَّكْوَةُ: جِلْدُ الرَّضِيعِ، وَهُوَ لِلَّبَنِ ... وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو: كَانَ لَهُ شَكْوَةٌ يَنْقَعُ فِيهَا زَبِيباً، قال: هِيَ وِعَاءٌ كَالدَّلْوِ أَوِ الْقِرْبَةِ الصَّغِيرَة، وَجَمْعُهَا "شُكًى"»[2].

عكّة: بضمّ العين، وتشديد الكاف، شبيهة بالشّكوى، تصنع في أغلب الأحيان، من الجلد الرّقيق، ويوضع فيها السّمن، أو الدّهان، وهي مستعملة لدى أهل البوادي، واللّفظة عربيّة، وردت في كتب اللّغة، من ذلك ما جاء في لسان العرب: «الْعُكَّةُ لِلسَّمْنِ كَالشِّكْوَةِ لِلَّبَنِ، وَقِيلَ: الْعُكَّةُ أَصْغَرُ مِنَ الْقِرْبَةِ لِلسَّمْنِ، وَهُوَ زُقَيْقٌ صَغِيرٌ، وَجَمْعُهَا عُكَكٌ وَعِكَاك، وَفِي الْحَدِيث: أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَل»[3].

وذكر الجوهريّ "العكّة" في صحاحه، حيث عرّفها بقوله: «وَالْعُكَّةُ، بِالضَّمِّ، آنِيَةُ السَّمْنِ، قَالَ ابْنُ

[1] – سبأ: 13.

[2] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 14، ص: 441.

[3] – المصدر نفسه، ج: 10، ص: 468-469.

السِّكِّيت: يُقَالُ لِمِثْلِ الشِّكْوَةِ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ السَّمْنِ عُكّة، وَالْجَمْعُ: الْعُكَكُ وَالْعِكَاكُ»[1]

«ج: عُكَكٌ وَعِكَاك، زُقَيْقٌ لِلسَّمْنِ أَصْغَرُ مِنَ الْقِرْبَة، وَمِنْهُ "سَمِنَ الصَّبِيُّ حَتَّى صَارَ كَالْعُكَّة، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: وَلَدٌ مُعَكْعِكٌ، أَيْ سَمِينٌ كَأَنَّهُ الْعُكَّة»[2].

قفّة: القفّة كلمة مستعملة في الحياة اليوميّة، في العديد من البلدان العربيّة، وليس الجزائر فقط، وهي تشير إلى تلك الوسيلة المستعملة لتوضع عليها الأمتعة، سواء ما يتمّ شراؤه من الأسواق والمحلّات، أو الزّاد الذي يحتاجه الإنسان أثناء عمله، وغير ذلك، هي تصنع من بلاستيك أو الحلفاء أو الجريد، والكلمة موجودة في العربيّة الفصيحة، من ذلك ما أورده الخليل في العين بقوله: «الْقُفَّةُ كَهَيْئَةِ الْقَرْعَةِ، تُتَّخَذُ مِنْ خُوص، قال: كُلُّ عَجُوزٍ رَأْسُهَا كَالْقُفَّهْ»[3]، والخوص هو ورق النّخل.

والقفّة في لسان العرب «كَهَيْئَةِ الْقَرْعَةِ، تُتَّخَذُ مِنْ خُوص وَنَحْوِهِ، تَجْعَلُ فِيهَا الْمَرْأَةُ قُطْنَهَا ... شِبْهُ زَبِيلٍ صَغِيرٍ مِنْ خُوصٍ يُجْتَنَى فِيهِ الرُّطَبُ، وَتَضَعُ فِيهِ النِّسَاءُ غَزْلَهُنَّ»[4]

يستخلص من تعريف القفاف أنّها كانت خاصّة بالنّساء لوضع بعض الأشياء كالقطن أو الغزل، أو لجمع الرّطب، لكنّها مع الوقت أصبحت عامّة، تستعمل من قبل النّساء والرّجال على السّواء.

مهراز: المهراز أداة من نحاس أو خشب، كانت ولا زالت تستعمل لدقّ الحبوب، وهي تنطق

[1] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 798.

[2] – لويس معلوف، المنجد في اللّغة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط/ 17، د.ت، ص: 251.

[3] – الفراهيدي، الخليل بن أحمد، مصدر سابق، ج:5، ص: 48.

[4] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 9، ص: 287.

بالزّاي المنقلبة عن السّين، والأصل "مهراس"، وكما هو واضح، فالاسم مشتقّ من الفعل "هرس" الذي من بين يعني "دقّ" الشّيء، وللمهراس أداة مساعدة تسمّى "الدّقّاق" وهي من نفس المادّة المصنوع منها المهراس، حيث يتمّ وضع الشّيء المراد دقّه في المهراس، ويدقّ بالدّقّاق، وكلاهما كلمتان عربيّتان، فقد وردت لفظة مهراس في مقاييس اللّغة: «الْهَاءُ وَالرَّاءُ وَالسّين: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى دَقٍّ وَهَزْمٍ فِي الشَّيْءِ. وَهَرَسْتُ الشَّيْءَ دَقَقْتُهُ، وَمِنْهُ الْهَرِيسَة، وَالْمِهْرَاسُ: حَجَرٌ مَنْقُورٌ، لَعَلَّهُ يُدَقُّ فِيهِ الشَّيْءُ»[1]

والمهراس «وِعَاءٌ مُجَوَّفٌ مِنَ الْحَدِيدِ أَوِ النُّحَاسِ أَوْ غَيْرِهِمَا، يُدقُّ فِيهِ الطَّعَامُ وَالتَّوَابِلُ، أَوِ الدَّوَاء – خَشَبَةٌ يُدَقُّ فِيهَا الْحَبُّ – حَجَرٌ مَنْقُورٌ ثَقِيلٌ يُدَقُّ فِيه»[2].

رابعاً: حقل الخضر والفواكه

الدّنجال: بسكون الدّال المشدّدة، وسكون النّون، من الخضر، يكون لونه إمّا أبيض أو أسود، أو البنفسجيّ الدّاكن، وهو نبات عشبيّ موسميّ، ولا يؤكلّ نيّئاً لمرارة طعمه، جاء في المنجد: « الْبَادِنْجَانُ والْبَاذِنْجَانُ: بقْلٌ زِرَاعِيٌّ مِنْ فَصِيلَةِ الْبَاذِنْجَانِيَّاتِ، لَهُ ثَمَرٌ مُسْتَطِيلٌ أَوْ مُسْتَدِيرٌ، بَنَفْسَجِيُّ اللَّوْن»[3]

وجاء في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: «مف: بَاذِنْجَانَة: نَبَاتٌ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْبَاذِنْجَانِيَّةِ مِنْ ذَوَاتِ

[1] – ابن فارس، أحمد، مقاييس اللّغة، ج: 6، ص: 46.
[2] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج3، ص: 2343.
[3] – المنجد في اللّغة والأعلام، ص: 24.

الْفَلَقَتَيْنِ، ذُو ثَمَرٍ أَسْوَدَ أَوْ أَبْيَضَ مُسْتَطِيلٍ أَوْ شِبْهِ مُكَوَّر، يُؤْكَلُ مَطْبُوخاً أَوْ مَقْلِيًّا»[1]

وقد ورد ذكره في معاجم اللّغة بأسماء مختلفة، منها:

الأنب: ذكره ابن منظور: «وَالْأَنَبُ، الْبَاذِنْجَانُ، وَاحِدَتُهُ أَنَبَة»[2]

والفيروز آباديّ: «وَالْأَنَبُ، مُحَرَّكَة: الْبَاذِنْجَانُ»[3]

الحدق: ذكره ابن منظور: «وَالْحَدَقُ، الْبَاذِنْجَانُ، وَاحِدَتُهُ حَدَقَة»[4]

والفيروز آباديّ: «وَالْحَدَقُ، مُحَرَّكَة: الْبَاذِنْجَانُ»[5]

المغد: ذكره ابن منظور: «وَالْمَغْدُ، وَالْمَغَدُ الْبَاذِنْجَانُ»[6].

بصل: البصل كلمة عربيّة تشير إلى نبات معروف من الخضروات، يستعمل بكثرة في المناسبات وغيرها، ويمزج مع الطّماطم، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، في قصّة سيّدنا موسى – عليه السّلام – مع بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[7]

[1] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج1، ص: 154.
[2] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 1، ص: 217.
[3] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط8، 2005، ص: 59.
[4] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 10، ص: 40.
[5] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 873.
[6] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 3، ص: 408. وذكره الفيروآبادي في القاموس المحيط، ص: 320.
[7] – البقرة: 61.

والبصل جمع: «مفرد بَصَلَة: (النبات) نبات حوليّ من الفصيلة الزّنبقيّة ينمو تحت الثّرى له أغصان ترتفع قليلاً فوق سطح الأرض، لبعضه طعم حرِّيف لاذِع، يُؤكل نيِّئًا ومَطْبوخًا وله فوائدُ صحِّيَّة كثيرة ... لا تدخل بين البصلة وقشرتها: النهي عن إفساد ما بين الأصدقاء أو القريبين أو الصاحبين المتحابَّين»[1].

وفي شعر لبيد:

فَخْمَةً ذَفْرَاءَ تُرْتَى بِالْعُرَى قُرْدَمَانِيًّا وَتَرْكًا كَالْبَصَلْ[2]

بتّيخ: بسكون الباء، والتّاء المنقلبة عن الطّاء، من الفواكه الموسميّة، التي تنضج في فصل الصّيف، ذو لون أصفر، وحجمه بحجم حبّة اليقطين، كرويّة الشّكل، وهو من الكلمات المستعملة في الحياة اليوميّة، يشير إلى النّوع المعروف، ويقترن غالباً بالدّلاّع، والأصل العربيّ هو البّطّيخ بالطّاء، كما أنّ كليهما بطّيخ، فيقال بطّيخ أصفر، وبطّيخ أحمر، وجاء في لسان العرب في مادّة (بطخ) قوله: «الْبِطِّيخُ وَالطِّبِّيخُ، لُغَتَان، والْبِطِّيخُ مِنَ الْيَقْطِينِ الذِي لَا يَعْلُو، وَلَكِنْ يَذْهَبُ حَبَالًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْض»[3]

وفي الصّحاح: «الْبَطِّيخَةُ، وَاحِدَةُ البِطِّيخ، وَأَبْطَخَ الْقَوْمُ: كَثُرَ عِنْدَهُمُ البِطِّيخ»[4].

فلفلة: بتسكين كلّ من الفائين واللاّم بينهما، من الخضروات، وهي شبيهة بالفلفل الحارّ لكنّها

[1] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج1، ص: 154.

[2] – العامريّ: لبيد ابن ربيعة، الدّيوان، دار صادر، بيروت، ص: 146.

[3] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 3، ص: 9. والقاموس المحيط، ص: 249.

[4] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 99.

أكبر حجماً، تؤكل نيئة أو مطبوخة، تدخل في بعض الأطباق المعروفة في الجزائر وغيرها، لونها أخضر في الغالب، لكن قد نجد لها لونا آخر كالأحمر أو الأصفر، أو الأخضر الذي تشوبه الحمرة، والكلمة عربيّة متداولة، رغم أنّ أصلها فارسيّ، وذلك ما ذكره ابن منظور في قوله: «وَالْفُلْفُلُ، بِالضَّمِّ، مَعْرُوف لَا يَنْبُتُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَقَدْ كَثُرَ مَجِيئُهُ فِي كَلَامِهِمْ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ فَارِسِيَّة، قَالَ أَبُو حَنِيفَة: أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى شَجَرَهُ فَقَال: شَجَرُهُ مِثْلَ شَجَرِ الرُّمَّان»[1]

وفي الصّحاح: «وَالْفُلْفُلُ بِالضَّمِّ، حَبٌّ مَعْرُوفٌ، وَشَرَابٌ مُفَلْفَلٌ، أَيْ: يَلْذَعُ لَذْعَ الْفُلْفُل»[2]

وَفي معلّقة امرئ القيس:

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الْجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلَافً مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ[3]

جاء في شرح الخطيب التّبريزيّ أنّ "المفلفل" ما ألقيت فيه التّوابل

مشماش: المشماش فاكهة معروفة يميل لونها إلى البرتقاليّ، وهي أصغر من التّفاحة والبرتقالة، لها فلقتان ملتصقتان، بينهما نواة، تؤكل طريّة أو مجفّفة، وهي من الكلمات العربيّة التي وردت في مختلف كتب اللّغة والنّباتات، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الصّحاح: «وَالْمِشْمِشُ الذِي يُؤْكَل»[4]

[1] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 11، ص:352.
[2] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 901.
[3] – التّبريزيّ الخطيب، شرح القصائد العشر، إدارة الطّباعة المنيريّة، 1352هـ، ص: 54.
[4] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 1081.

وفي معجم اللّغة المعاصرة: «مف: مشمشة: (نت) شَجَرٌ مُثْمِرٌ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْوَرْدِيَّةِ، وَتُطْلَقُ الْكَلِمَةُ أَيْضاً عَلَى ثَمَرِ ذَلِكَ الشَّجَرِ، وَهُوَ ثَمَرٌ يُؤْكَلُ غَضًّا أَوْ مُجَفَّفاً»[1].

كرافس: الكرافس هو نبتة ذات لون أخضر، من البقوليّات، تستعمل كالتّوابل في الطّعام، وهي كلمة عربيّة أصلها "كَرَفْس" بفتح الكاف والرّاء، كما وردت في التّراث العربيّ، يقول الجوهريّ: «الْكَرَفْسُ: بَقْلَةٌ مَعْرُوفَة»[2]

وذكر "الفيروز آبادي" بعض فوائد "الكرفس" بقوله: «الْكَرَفْسُ، بِفَتْحِ الْكَافِ وَالرَّاءِ، بَقْل م، عَظِيمُ الْمَنَافِعِ، مُدِرٌّ، مُحَلِّلٌ لِلرِّيَاحِ وَالنُّفَخِ، مُنَقٍّ لِلْكِلَى وَالْكَبِدِ وَالْمَثَانَةِ، مُفَتِّحٌ سُدَدَهَا»[3]

وذكر صاحب معجم اللّغة المعاصرة: أنّ "الكَرَفْسَ": «عُشْبٌ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْخَيْمِيَّةِ، لَهُ جِذْرٌ وَتَدِيٌّ مِغْزَلِيٌّ، وَسَاقٌ جَوْفَاءُ قَائِمَةٌ، يُزْرَعُ كَنَبَاتٍ طِبِّيٍّ يُدِرُّ الْبَوْلَ، وَيَدْفَعُ الْحُمَّى، تُؤْكَلُ ضُلُوعُ أَوْرَاقِهِ أَوْ جُذُورِهِ خُضْراً أَوْ مَطْبُوخَةً، ثَمَرَتُهُ جَافَّةٌ مُنْشَقَّةٌ إِلَى ثَمَرَتَيْنِ»[4]

خَامِساً: حقل الصّفات

حاذق: تستعمل لفظة حاذق في العامّيّة الجزائريّة على الشّخص الذي يستطيع القيام بالأعمال في وقتها دون تأخير أو تكاسل، كما تشير إلى المعرفة والإتقان، وهي مرادفة لكلمة المهارة، والكلمة عربيّة متداولة بالمعنى نفسه، من ذلك ما جاء في لسان العرب: «الْحِذْقُ وَالْحَذَاقَةُ: الْمَهَارَةُ فِي كُلِّ

[1] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج: 3، ص: 2101-2102..
[2] – الجوهريّ، الصّحاح، ص: 996.
[3] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 570.
[4] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج: 3، ص: 1921.

عَمَل، حَذَقَ الشَّيْءَ يَحْذِقُهُ وَحَذِقَهُ حَذْقاً وَحِذْقاً وَحَذَاقاً وَحِذَاقاً، وحَذَاقَةً وحِذَاقَةً فَهُوَ حَاذِق ... وَفُلَان فِي صَنْعَتِهِ حَاذِقٌ بَاذِقٌ، وَهُوَ إِتْبَاعٌ لَه»[1]

قال أبو العلاء المعرّي:

شِعْرٌ كَسَاهُ الدَّهْرُ صِبْغَةَ حَاذِقِ لَوْناً أَقَامَ بِحَالِهِ لَمْ يَنْصُلِ

وفي معجم اللّغة المعاصرة: «حَذَقَ الشّيْءَ/ حَذَقَ فِي الشَّيْءْ: أَتْقَنَهُ وَمَهَرَ فِيهِ، مَارَسَهُ حَتَّى نَبَغَ فِيهِ»[2].

زين – شين: كلمتان متقابلتان في العامّيّة، تطلقان على الجمال والقبح في الأشياء والأفعال والصّفات، ونجدهما في العامية الجزائرية وغيرها من العامّيّات العربيّة، خاصّة الكلمة الأولى "زين"، وهي مشتقّة من الفعل "زان" المذكور في الحديث الشّريف: قال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الرّفق لا يكون في شيءٍ إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلّا شانه»[3].

والزّين من الفعل "زيّن" المذكورة في القرآن الكريم، في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[4].

[1] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 10، ص: 40.

[2] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج1، ص: 462.

[3] – رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة – رضي الله عنها –.

[4] – آل عمران: 14.

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[1]

قال ابن منظور: «الشّيْنُ خِلَافُ الزَّيْنِ، وَقَدْ شَانَهُ يَشِينُهُ شَيْناً. قَالَ أَبُو مَنْصُور: وَالْعَرَبُ تَقُولُ وَجْهُ فُلَانٍ زَيْنٌ أَيْ حَسَنٌ ذُو زَيْنٍ، وَ وَجْهُ فُلَانٍ شَيْنٌ أَيْ قَبِيحٌ ذُو شَيْنٍ»[2].

وفي معجم اللّغة المعاصرة: «شَانَ مَوْقِفَهُ: شَوَّهَهُ وَعَابَهُ، عَكْسُهُ زَانَهُ، فِعْلٌ / سُلُوكٌ شَائِنٌ: مُخْجِلٌ مُخْزٍ، يَحُطُّ مِنَ الْقَدْرِ – اتِّهَامٌ شَائِنٌ: مُهِينٌ مُحَقِّر»[3]

قال لبيد:

نَشِينُ صِحَاحَ الْبِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِعُوجِ السِّرَاءِ عِنْدَ بَابٍ مُحَجَّبِ[4].

عَيَّان: تطلق كلمة "عيّان"، في العامّيّات العربيّة، على الشّخص الذي يكون مريضاً أو مصاباً بالتّعب والإرهاق، كما تشير إلى العجز، بل وتطلق أيضا على البضاعة التي تكون مغشوشة أو فاقدة للجودة المنتظرة لدى المشتري، فاللّفظة، من هذه النّواحي، تدلّ على السّلبيّة، وهي ذات أصل عربيّ، حيث وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوّل﴾[5]، بمعنى هل أعجزنا ابْتِدَاءُ الخَلْقِ، حَتّى نَعْجَزَ عَنِ الْإِعَادَة. وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ

[1] – الأنعام: 43.

[2] – ابن منظور، مصدر سابق، ج: 13، ص:244.

[3] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج2، ص: 1258.

[4] – العامريّ، لبيد بن ربيعة، مرجع سابق، ص: 32. والمعنى أنّهم كانوا كلّما حضروا باب الملك، وهم متنكّبوا قسيّهم تفاخروا، فكلّما رجل منهم مأثرة خطّ لها في الأرض خطًّا، فأيّهم وجد أكثر خطوطاً كان أكثر مآثر، فذلك شينهم البيد، وهي الصّحراء المستوية الملساء.

[5] – ق: 15.

بِخَلْقِهِن﴾[1].

قال زهير:

وَلَا سَاهِي الْفُؤَادِ وَلَا عَيِيِّ اللّـ ـسَانِ إِذَا تَشَاجَرَتِ الْخُصُومُ[2]

وفي القاموس المحيط: «عَيَّ بِالْأَمْرِ، وَعَيِيَ، كَرَضِيَ، وَتَعَايَا وَاسْتَعْيَا وَتَعَيَّا: لَمْ يَهْتَدِ لِوَجْهِ مُرَادِهِ، أَوْ عَجَزَ عَنْهُ، وَلَمْ يُطِقْ إِحْكَامَهُ، وَهُوَ عَيَّنٌ وَعَايَاء، وَعَيٌّ، وَعَيِيٌّ»[3]

كْحَل: لفظة عامّيّة تشير إلى صفة السّواد في كلّ شيء، فيقال بقرة كحلة – رجل كحل – امرأة كحلاء – سبّاط أكحل وغير ذلك، ويطلق على الشّخص الأسود "كحلوش"، بمعنى أنّه أسود البشرة، ويطلق على الإثمد الذي يستخدم لتكحيل العيون "الكحُل"، لأنّ لونه أسود، جاء في القاموس المحيط: «وَالْكَحَلُ، مُحَرَّكَةٌ: أَنْ يَعْلُوَ مَنَابِتَ الْأَشْفَارِ سَوَادٌ جِلْفَةً، أَوْ أَنْ تَسْوَدَّ مَوَاضِعُ الْكُحْلِ. كَحِلَ، كَفَرِحَ، فَهُوَ أَكْحَلُ. وَالْكَحْلَاءُ: الشَّدِيدَةُ سَوَادِ الْعَيْنِ ... وَمِنَ النِّعَاجِ: الْبَيْضَاءُ السَّوْدَاءُ الْعَيْنَيْنِ»[4]

وجاء في الحديث الصّحيح، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ" :اكْتَحِلُوا بِالإِثْمِدِ؛ فَإِنَّهُ يَجْلُو البَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ[5]"

[1] – الأحقاف: 33.

[2] – زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1988، ص: 119.

[3] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1316.

[4] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1052.

[5] – رواه التّرمذيّ وأحمد وابن ماجة.

عايب: تطلق لفة "عايب" في العامّيّة على الشّخص الأعرج، أو الذي يعاني من تشوّه خلقيّ، خاصّة في الأطراف، سواء في اليدين أو الرّجلين، وهي صفة عامّة، لا تختصّ بالإنسان وحده، رجلاً كان أو امرأة، بل تتعدّاه إلى الحيوان، فيقال: "جمل عايب"، و"عود عايب" والعود هنا هو الحصان، وغيرها، وأصلها عربيّ فصيح، من الفعل "عاب" "يعيب"، بمعنى جعل في الأمر شيئاً ينقص من قيمته، من ذلك ما جاء على لسان سيّدنا الخضر – عليه السّلام: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[1]، أي بجعلها غير صالحة، حتّى لا يأخذها الملك الظّالم.

قال النّابغة في مدح الغساسنة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[2]

وفي معجم اللّغة المعاصرة: «عَابَ الْبِنَاء: صَارَ ذَا نَقِيصَةٍ أَوْ وَصْمَةٍ أَوْ شَيْن ... عَابَ الْعَمَل: عَدَّهُ ذَا نَقِيصَةٍ، قَدَحَ فِيهِ، اسْتَقْبَحَهُ، عَدَّهُ عَيْباً، ذَمَّه»[3]

طالب: يطلق لفظ "الطّالب" على فئة مخصوصة، وهي تنقسم إلى قسمين: الأول كلّ من يدرّس القرآن الكريم وما يتعلّق به من متون ونحو، سواء في الزّوايا أو في المحلّات الخاصّة، كما يطلق على الذي تفرّغ لحفظ القرآن وما يتعلّق به في الزّاوية، أمّا الثّاني: فيطلق على كلّ من امتهن حرفة الرّقية – ويدخل في ذلك المشعوذ – والذي يقصده العامّة من النّاس بغية فكّ العين أو السّحر، ولا

[1] – الكهف: 79.

[2] – الذّبيانيّ، النّابغة، الدّيوان، تح: كرم البستانيّ، دار صادر، دار بيروت، 1963، ص: 11.

[3] – عمر أحمد مختار، مرجع سابق، ج2، ص: 1581.

ندري من أين جاءت الكلمة، لكنّ أصلها العربيّ "الطّالب" يشير إلى كلّ من طلب شيئاً، سواء كان علماً أو غيره، وذلك استناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم، وكلام العرب، قال تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[2].

وفي مقاييس اللّغة: «الطّاءُ واللّام وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى ابْتِغَاءِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: طَلَبْتُ الشَّيْءَ أَطْلُبُهُ طَلَباً، وَهَذَا مَطْلَبِي، وَهَذِهِ طَلِبَتِي، وَأَطْلَبْتُ فُلَاناً بِمَا ابْتَغَاهُ، أَيْ أَسْعَفْتُهُ بِهِ»[3]

شيباني: تطلق لفظة شيبانيّ في العامّية الجزائريّة على الشّيخ الكبير، كما تطلق مجازاً على الوالد، وإن لم يبلغ مرحلة الشّيب بعد، فيقال: "الشّيباني نتاعي"، بمعنى أبي، ومن الواضح أنّ الكلمة مشتقّة من الشّيب، والذي يظهر على شعر الرّأس، فيتحوّل من السّواد إلى البياض، والذي يبدأ بالتّغيّر منذ منتصف الكهولة، كما يشير الشّيب إلى الوقار، وهو ليس عيباً لأنّه يصيب كلّ من بلغ سنّ الشّيخوخة، من الرّجال والنّساء، وقد وردت اللّفظة في القرآن الكريم، في سورة مريم، على لسان سيّدنا زكريّاء – عليه السّلام –: «رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً»[4].

وقد وردت الكلمة باشتقاقاتها المختلفة في الشّعر العربيّ للدّلالة على المعنى المذكور، من ذلك البيت المشهور، للخليفة العبّاسيّ المستنجد بالله:

---

[1] – الكهف: 41.

[2] – الحجّ: 73.

[3] – ابن فارس، أحمد، مقاييس اللّغة، ج: 3، ص: 417-418.

[4] – مريم: 4.

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهْوَ وَقَارُ لَيْتَهَا عَيَّرَتْ بِمَا هُوَ عَارُ

مْرا: لفظة عامّيّة تطلق في العامّيّة الجزائريّة على المرأة، وهي مرادف لكلمة "ستّ" في المشرق العربي (مصر)، ومن الواضح أنّها تخفيف لكلمة "مرأة" الفصيحة، وقد وردت في القرآن الكريم في ذكر كلّ من امرأة عمران – امرأة فرعون – امرأة نوح – امرأة لوط – ومريم ابنة عمران – وسارة امرأة إبراهيم ... قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِين (10) وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمنوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾[1].

كما وردت لفظة "امرأة" في عدد كبير من الأحاديث الشّريفة، منها: قوله – صلّى الله عليه وسلّم – «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةٌ، إِلَّا أَدْخَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنّة، فَقَالَتْ أَجَلُّهُنَّ امْرَأَة: يَا رَسُولَ الله: وَصَاحِبَةُ الِاثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: وَصَاحِبَةُ الِاثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ.

[1] – التّحريم: 10 – 11.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المصادر

1 – الأندلسيّ الغرناطيّ، أبو حيّان محمّد بن يوسف، البحر المحيط في التّفسير، تح: زهير جعيد، بيروت، دار الفكر، ج2، 2010.

2 – الأنصاريّ، حسّان بن ثابت، الدّيوان، تح: عبد أ علي مهنّا، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط2، 1994،

3 – ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، المكتبة العلميّة، د.ط، د.ت.

4 – ابن خلدون، عبد الرّحمن، المقدّمة، تح: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 2001.

5 – ابن شدّاد، عنترة، شرح ديوان عنترة للخطيب التّبريزيّ، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط1، 1992.

6 – ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت.

7 – ابن كثير الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر العربيّ، ج4.

8 – أبو العتاهية، الدّيوان، بيروت، دار بيروت للطّباعة والنّشر، 1406هـ – 1986م.

9 – التّبريزيّ الخطيب، شرح القصائد العشر، إدارة الطّباعة المنيريّة، 1352هـ،

10 – الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد، الصِّحَاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، دار الحديث، القاهرة، 2009.

11 – الحمزاويّ، حسن العدويّ، النّور السّاري من فيض صحيح الإمام البخاريّ، تح: محمّد العزازي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج3.

12 – الخفاجي، أبو محمّد ابن سنان، سرّ الفصاحة، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1982.

13 – الذّبيانيّ، النّابغة، الدّيوان، تح: كرم البستانيّ، دار صادر، دار بيروت، 1963.

14 – الزّمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط3، 2009.

15 – زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1988.

16 – سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.

17 – السّيوطيّ، جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمّد أحمد جاد المولى – علي محمد البجاوي – محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1986، ج1.

18 – الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مج: 11، بيروت، دار الكتب العلميّة، بيروت.

19 – العامريّ: لبيد ابن ربيعة، الدّيوان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

20 – القرطاجنّي، حازم بن محمّد بن حسن، الدّيوان، تح: عثمان الكعّاك، سلسلة المكتبة الأندلسيّة، ع9، بيروت، دار الثّقافة، د.ط، د.ت.

21 – القرطبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، تح: سالم البدريّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، ج: 2 – ج: 20.

22 – كثيّر عزّة، الدّيوان، تح: إحسان عبّاس، بيروت، دار الثّقافة، 1981.

23 – كعب بن زهير، الدّيوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997،

24 – المبرّد، أبو العبّاس، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة الميمنيّ، ط2، القاهرة، 1994.

25 – المتنبّي، أحمد بن الحسين، الدّيوان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، 1983،

المراجع

1 – إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2002.

2 – أندريه مارتينيه: مبادئ في اللّسانيات العامّة، دار الآفاق.

3 – أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989.

4 – بوقرة نعمان، المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، د.ت.

5 – تشومسكي نوام، البنى النّحويّة، تر: يؤيل يوسف عزيز، بغداد، الدّار الثّقافيّة العامّة، ط1، 1986.

6 – جونستون، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربيّة، تر: أحمد محمّد الضّبيب، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ط2، 1983.

7 – حسّاني أحمد، مباحث في اللّسانيات، منشورات كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، ط2، 2013.

8 – حسين طه، في الشّعر الجاهليّ، دار المعارف للطّباعة والنّشر، سوسة، تونس، د.ط، د.ت.

9 – حليلي عبد العزيز، اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربيّة، تعاريف – أصوات، منشورات دراسات سال، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 1991.

10 – الحمد، عبد العزيز بن حميد، علم اللّغة الجغرافيّة بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، مقال، جامعة القصيم، مج: 6، 2013.

11 – حمزة بن قبلان، دراسات في تأريخ اللّغة العربيّة، دار الفيصل الثّقافيّة، الرّياض، ط1، 1421هـ - 2000م.

12 – خاطر، محمّد أحمد، في اللّهجات العربيّة – مقدّمة للدّراسة، مطبعة الحسين الإسلاميّة، القاهرة، 1979.

13 – خان، محمّد، اللّهجات العربيّة والقراءات القرآنيّة، دراسة في بحر المحيط، ط2، القاهرة، 2003، دار الفجر.

14 – الخطيب أحمد شفيق، قراءات في علم اللّغة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006.

15 – رابين، اللّهجات العربيّة والغربيّة القديمة، تر: عبد الرّحمن أيّوب، دار السّلاسل للطّباعة والنّشر، الكويت، 1976.

16 – الرّاجحي عبده، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة، 1996.

17 -الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000.

18 - زكريّا، ميشال، الألسنيّة: المبادئ والأعلام، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2.

19 – السّامرّائيّ إبراهيم ، في اللّهجات العربيّة القديمة، دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1994.

20 - سوسير، فرديناند، علم اللّغة العامّ، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، ع: 3، 1985.

21 – سوسير: دروس في الألسنيّة العامّة، تر: صالح القرمادي، الدّار العربيّة للكتاب، 1985.

22 - صالحة راشد غنّيم آل غنيم، اللّهجات في كتاب سيبويه أصواتا وبنية، دار المدني للطّباعة والنّشر، جدّة، ط1، 1405 هـ، 1975م.

23 - صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.

24 - ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت.

25 - طالب الإبراهيميّ خولة، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط2، 2006.

26 - ظاظا حسن، اللّسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللّغة، سلسلة مكتبة الدّراسات اللّغويّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، ط2، 1990.

27 - عبد التّوّاب، رمضان، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ، مكتبة الخنجيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.

28 - العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة، بيروت، أبحاث للتّرجمة والنّشر والتّوزيع، ط1، 2004.

29 – علي ناصر غالب، لهجة أسد، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، الأعظميّة، بغداد، ط1، 1989.

30 – العوامر، إبراهيم محمّد السّاسي، الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، منشورات ثالة، الأبيار، 2007.

31 – غلفان، مصطفى، في اللّسانيات العامّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2010.

32 – الفيّوميّ، أحمد بن محمّد بن عليّ، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ، بيروت، دار الفكر.

33 – قدّور أحمد محمّد، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429 – 2008.

34 – القطّان منّاع، نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة وهبة، القاهرة.

كريم، محمّد رياض، المقتضب في لهجات العرب، التركي للكمبيوتر والطّباعة، طنطا، 1996.

35 – محمّد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ط1، 1417– 1996، جامعة الأزهر.

36 – ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.

37 – محمّد العيد، النّصّ والخطاب والإتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، 2014.

38 – محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2004.

39 – النّادريّ، محمّد أسعد، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 2009.

40 – هلال، عبد الغفّار حامد، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993.

41 – وعلي بوجمعة، اللغة العربيّة والتّنمية، المسيرات والمعيقات، ط1، أكتوبر 2018، kutub l.t.d، لندن.

42 – ياقوت أحمد سليمان، في علم اللّغة التّقابلي، دراسة تطبيقيّة، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، د.ط، 1985.

المعاجم

1 – إبراهيم رجب عبد الجواد، المعجم العربيّ لأسماء الملابس، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2002.

2 – ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1979.

3 – الأزهريّ، أبو منصور، محمّد بن أحمد، تهذيب اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، د.ط، د.ت.

4 – بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، ط1، 2009.

5 – التّونجي محمّد، راجي الأسمر، المعجم المفصّل في علوم اللّغات (اللّسانيات)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001، ج1.

6 – جبّور عبد النّور، المعجم المفصّل في الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.

7 – جون ديبو، قاموس اللّسانيات وعلوم اللّغة، الموسوعة العربيّة، الرّياض، ط2، د.ت.

8 – الزّبيدي: محمّد مرتضى الحسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، 1965.

9 – عمر أحمد مختار، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.

10 – العمريّ، محمّد أحمد سعيد، أطلس لغات قيس وما يناظرها من لغات العرب، السّعوديّة، جامعة أمّ القرى، ط1، 1982.

11 – الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السّامرّائيّ،

12 – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط8، 2005.

13 – لويس معلوف، المنجد في اللّغة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط/ 17، د.ت.

14 – مشتاق عبّاس، المعجم المفصّل في فقه اللّغة، دار الكتب العلميّة، بيروت.

15 – مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، 2002، سلسلة المعاجم الموحّدة، ع1، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء.

16 – النّحّاس هشام، معجم فِصاح العَامِّيَّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997،

الدّوريّات

1 – إفيتش ميلكا: اتّجاهات البحث اللّسانيّ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفايد وفاء كامل، المشروع القوميّ للتّرجمة، المجلس الأعلى للثّقافة، ط2، 2000.

2 – باغي أحمد عبد الله عبد ربّه، الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب، دراسة في ضوء علم اللّغة، رسالة دكتوراه، إشراف حلمي خليل، قسم اللّغة العربيّة واللّغات الشّرقيّة بكلّيّة الآداب بجامعة الاسكندريّة، 1991م.

3 – بولغيتي مانت، جهود عبد الجليل مرتاض في مجال علم اللّهجات العامّ –دراسة وصفيّة – مذكّرة ماجستير، قسم اللّغة والأدب العربي، الجامعة الإفريقيّة، أحمد دراية أدرار، 1435هـ – 2014م.

4 – الحاج صالح، عبد الرّحمن، مدخل إلى علم اللّسان، مجلّة اللّسانيات، 1972.

5 – فندريس، ج، اللّغة، تر: عبد الحميد الدّواخلي، محمّد القصّاص، المركز القوميّ للتّرجمة، القاهرة، العدد: 1889، 2014.

6 – مؤتمر الدّورة الخامسة عشر، الجلسة، خليل محمود عساكر، الأطلس اللّغويّ، مجلّة البحث في مجلّة المجتمع، 1949، ج7.

7 – مجلّة العلوم العربيّة والإنسانيّة، جامعة القصيم، مج: 6، ع2، (رجب 1434هـ / 2013).

8 – الوعر مازن، النّظريّات النّحويّة والدّلاليّة في اللّسانيات التّحويليّة، مجلّة اللّسانيات، الجزائر، 1986.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر	
مقدمة	أ
مدخل	**12 – 1**
أوّلاً: اللّغة	3
ثانيا: اللّسان	8
ثالثاً: اللّهجة	11
الفصل الأوّل:اللّغة واللّهجة بين القدامى والمحدثين	**62 – 13**
تمهيد	14
1 – ماهية اللّغة عند القدامى، والمحدثين	15
1 – اللّغة عند العرب القدامى	15
2 – اللّغة في منظور الألسنيّين الغربيين	16
2 – مفهوم اللّهجة عند القدامى والمحدثين	21
1 – اللّهجة عند القدامى	21
2 – اللّهجة عند المحدثين	25
3 – الفرق بين اللّغة واللّهجة:	**29**
4 – أسباب نشأة اللّهجات	35
5 – أنواع اللّهجات العربيّة	43
أوّلاً: اللّهجة العربيّة البائدة	43
ثانياً: اللّهجة العربيّة الباقية	45
6 – نظرة بعض اللّغويّين المحدثين إلى اللّهجات	46
7 – القراءات وصِلتها باللّهجات	54
خلاصة الفصل	59

الفصل الثّاني: اللّسانيات العامّة، واللّسانيات الجغرافيّة	63 – 110
تمهيد	65
1 – مفهوم اللّسانيات	67
2 – مناهج اللّسانيات	73
3 – اللّسانيات الجغرافيّة	78
3 – 1 – مفهوم اللّسانيات الجغرافيّة:	79
3 – 2 – أهمّ مفاهيم اللّسانيات الجغرافيّة	81
3 – 2 –1– الأطلس اللّغويّ	81
3–2 - 2 – طريقة عمل الأطلس اللّغويّ	83
3 – 2 – 3 – أهمّيّة الأطلس اللّغويّ	84
4 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ	85
4– 1 – علم اللّغة الجغرافيّ	85
4– 2 – وظيفة علم اللّغة الجغرافيّ	88
4– 3 – أسباب التّنوّع الجغرافيّ	90
5 – علاقة اللّسانيات بالجغرافيا	94
6 – علم اللّهجات	96
7 – الدّراسة اللّهجيّة	100
أوّلاً عند العرب	100
ثانيا: عند الغربيّين	102
8 - علم اللّهجات واللّسانيات الجغرافيّة	104
خلاصة الفصل	109
خاتمة	110
ملحق	**112**
قائمة المصادر والمراجع	138